

١١١٤



دار م. النحاس

1114



HARLEQUIN

كبيرة

قناع من الخداع

سارا وود



www.elromancia.com

مرمورية



قناع من الخداع

سارا وود

انه ماهر في انتقاء الازياء ... جذاب ومثير. قوي ومخادع في شخصيته. ليستنزو كذلك يؤمن ان جدة ميرديث قد ابتزت زبونه، الثري، من عائلة كورزيني.

قررت ميرديث ان تبرهن لليستزو ان ادعاءه كاذب ... لتصل الى حقيقة ما طالبت به جدتها ... لكن اولاً كان عليها الاختيار بوضوح بين ان تدفع ليستزو داخل القناة الكبرى او ان تقبل ببرودة عناقه ...

موريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم -
السعودية: ١٠ ريال - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨
درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار

«أتمنى ان لا تخيل انك تستطيع ان تستفيد مني.»

«اريد ان احاول.»

نظرت اليه غير مصدقة، وهي تشعر باحساس غريب. لا بد انه التعب. وهذا هو سبب الارهاق البسيط، ايضاً.
ترنحت قليلاً، واغمضت عينيها الزرقاوين المشعطين.

تلعثمت قائلة: «اه، انني متعبة جداً.»

قال بصوت ناعم وهو ينظر اليها: «جملة جميلة، حان الوقت كي ننام، الا تعتقدين ذلك؟» وبدأ، يحدق بها باهتمام.

١١١٤
عبير

Abir 1141

قناع من الخداع

سارا وود



دار
مؤسسة النحاس
للطبوع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

سارا وود

الطفولة في بورتسموث تعني، بالنسبة إلى «سارا وود»، ركبتين قذرتين وجدائل متطايرة في الهواء، وسعادة لا تضاهى. وقد جعلها الفقر تتحول من طباعة على الآلة الكاتبة ومؤجرة غرف على شاطئ البحر، إلى معلمة، إلى أن منحها الكاتبة، أخيراً، الحرية التي يسعى إليها دمها الغجري.

سعيدة في زواجها، ولديها ولدان وسيمان ريتشارد، وهو متزوج، هادىء، وجدير بالثقة، ويعمل سائق شاحنة. وسيمون وهو صانع فضة متنقل، وباني سقوف ولحام اوكسجين. وتعيش سارا في كورنيش في المنطقة الريفية. وأوقاتها تتناوب بين حياة الكاتبة المتألقة، وحبها المحموم للعمل في الحديقة والذي يسمح لها بالرجوع إلى قذارة الركبتين والخلو من المسؤولية، مرة أخرى.

الفصل الاول

«اعذريني... عفواً..»

ابعدت ميرديث نظرتها الحسودة عن العائلات التي تسلم على بعضها البعض في المدخل الطويل واستدارت نحو الرجل الذي كان يتكلم مع انها كانت متأثرة جداً، ثارت ابتياها الرجل الواقف امامها.

هناك انسجام رائع الجمال به من رأسه حتى قدميه. كان يرتدي معطفاً من الصوف الناعم يناسب لون عينيه الداكنتين اما الشال الحريري الانيق لونه فاتح كلون شعره. وهذا، ما قاجأها، كان يشبه لون الذرة. الوان متشابكة منسجمة. امر مذهل.

سألت: «هل يمكنني ان اساعدك؟» محاولة ان لا تجعله يشعر بدهشتها الواضحة في عينيها الزرقاويين. تحدث بالانكليزية معها لأنه نظر الى قبعته المصنوعة باليد، ومعطفها الرخيص الثمن. فهي مما لاشك فيه غير ايطالية، قرر ذلك بوضوح. لا بد ان هذه المرأة هي انكليزية! ابتسمت له، فأنارت الابتسامة وجهها.

قال بنعومة: «هل هذه الطائفة آتية من لندن؟»

لم يعجب ميرديث ردة فعله لأن الناس عادة لا تبقى عدائية مع نظراتها الصديقة. كان يتكلم بلهجة محايدة... لكن يخفي تحتها غضب قوي يسيطر عليه. اقتربت منه اكثر، وقالت: «هذا صحيح. لقد عمت الفوضى في برنامج الطيران، اليس

كذلك! لقد تأخرنا في الوصول على الموعد اكثر من يوم بسبب عاصفة ثلجية عنيفة.» حاولت ان تعادل بأوزان الحقائق الست التي تحتوي ثيابها، شعرت بمسكات الحقائق تترك أثراً على يدها.

ادار الرجل الايطالي رأسه، من الواضح انه كان يتذكر طباعه قال بحدة: «شكراً لك.» كان يمسك بيده بطاقة وهو ينظر الى باب الخروج للقادمين وكأنه يتوقع ان يدخل منه ألد اعدائه.

سألت ميرديث: «لا اعتقد انك كنت بانتظاري؟» متمنية بحرارة ان لا يكون.

قالت براحة: «اه. حسناً، لم افكر بذلك.» وهي تشعر بعدم الارتباك بسبب تصرفه الوقح. كان من المفروض ان ينتظرها احد ما من قبل مصرف دو أورو، وهذا الشاب الاشقر بالتأكيد لا يشبه موظف في مصرف ... مع انه قد يكون السينيور كورزيني. اصبح وجهها حزيناً فجأة، وتطلعت الى الغرفة الخالية بقلق، وتذكرت سبب مجيئها المعيب.

الابتزاز. انه عمل مشين. مجرد التفكير به، جعلت قدميها ترتجفان والحقائب تسقط من يديها المتعبتين. حاولت ميرديث يائسة ان لاتسقط ثيابها من الحقائب لتجد ان قدميها تنزلقان بسبب الثلج الذي دخل الى القاعة.

«انتبهى!»

شعرت للحظة او اكثر بحماية يدين قويتين ثم سقطت فوقه وهي تشعر بالصوف الناعم لمعطفه.

رفعت رأسها، وهي تشعر بدفء في وجهها من جراء الصوف الناعم في معطفه، احست على الفور بنفس بارد

كالثلج على جبينها. لا بد انه مليء بالعضلات تحت تلك الهالة من الاناقة المفرطة.

قالت معذرة: «آه، كم هو مخجل! إنني آسفة.» اصطدمت عينها بنظراته الباردة: «معطفك الجميل...»

ارتجفت رموشها، وابتعدت عنه لتلتقط اغراضها المتبعثرة، وهي تعلم كم تبدو مرتبكة.

سألت بقلق: «اعذرني... هل يحتاج معطفك لتنظيف؟» متمنية ان لا يرسل اليها الفاتورة. فليدها مايكفي من المشاكل أمامها، من دون التفكير بصرف اية اموال اضافية من مدخراتها القليلة.

زاد وجهه تجهماً، وقال بلهجة غاضبة: «نعم.» واخذ يدفع ببعض ثيابها في الحقائب.

رأت ثيابها امامه فقالت: «ارجوك، يمكنني ان افعل ذلك بنفسي...» وهي تشعر بالوضع السخيف الذي اوقعت نفسها به. نظر اليها بتعال، لكنه استمر في حزم اغراضها، وبدا وجهه ينم عن استخفاف واضح بها.

قال محذراً: «راقبي اين تضعين قدمك في المستقبل.» وقف وهو يسند حقيبتين الي قدمه. انحنى ليلتقط البطاقة التي كان يحملها ثم قال غاضباً وهو ينظر حوله في القاعة الفارغة: «هل انت اخر القادمين؟»

«نعم، لقد مزقت حقيبتني بسبب الحزام الحديدي.» ارادت ان تفسر له سبب توزع امتعتها على عدد كبير من الحقائب الصغيرة. ابتسمت وهي تتذكر كم ساعدها المسؤول ثم قالت: «اعطوني هذه الحقائب، وقدم لي رجال الجمارك فنجاناً في القهوة، ومسحوا دموعي و...»

قاطعها الرجل بخشونة، ليوقف كلامها فجأة: «آه، لقد انتظرت من أجل لا شيء..»

قال ميرديث متعاطفة معه: «آه، ما هذا الحظ السيء..» كان يبدو عليه انه يستطيع تحطيم كل مايقف في طريقه. تنهدت قائلة: «حسناً، من الأفضل ان اجد قارباً يقلني الى فينيس..» بعد ان تأكدت انه لم يحضر احد ليصطحبها.

جمعت الحقائب المبعثرة، كانت قد اقلت نصفهم الى باب المدخل لأنها وجدت من الصعب السير وحملهم معاً. سيدة الحقائب تصل الى فينيس، هذا ما فكرت به، وهي تحاول ان ترفع من معنوياتها الى ما ستصادفه في هذه الرحلة. «توقفي مكانك!»

رفعت ميرديث حاجبها من الامر السريع الذي سمعته. استدارت لترى الايطالي المغرور يسير على الثلج باتجاهها. سألت بقلق: «هل سأنتظر طويلاً؟ فهذه الحقائب ستمزق...»

«ليس هناك اي قوارب، فالمياه متجمدة وهي غير عميقة. عليك الذهاب بالتاكسي.» رأى مظاهر الخيبة في وجهها فاضاف: «لكن لاتقلقي، فالانتقال في القنال مازال عادياً... وبذلك يمكّنك متابعة الطريق بمركب.»

قالت مازحة: «انا أذهب في تاكسي؟» تجاهلت جملته الاخيرة. «شكراً كثيراً على هذه المعلومات، لكن فتيات مثلي لا يستأجرن تاكسي. الا تعلم ذلك من تصميم قبعتي؟ انها فقط للفتيات اللواتي ينتظرن النقل العام.» ابتسمت له ابتسامة كبيرة والاحساس بالفرح من قبلها جعله يخفف من طبعه السيء قليلاً.

«ابقي هنا في هذا الوقت من الليل، وسترين ما لا يفرحك.» حدق الرجل الايطالي بعينيها الواسعتين اللتين اصبحتا قلقتين وتابع: «خذي تاكسي في الحال، انك تبدين وكأنك بحاجة لواحدة.» قال ذلك وهو يشير الى حقائبها. «لااستطيع...»

قال مقترحاً بنعومة: «شاركيني سيارتي.»

ندمت ميرديث بسرعة على احساسها الطبيعي بالصدقة، مذكرة نفسها انها ليست في بلادها، وهاهي تتحدث مع غرباء وتصعد الى اية سيارة تدعوها. عليها الحذر من اشخاص كهذه. الترتيب في تصفيف شعره الى حدائه اللماع، مما لاشك فيه انه انسان مهم. انه ينتمي الى عالم آخر عن الناس التي تعيش معهم في وادي ويلاش.

اجابت بلطف، محاولة ان لاتصدده: «انك حقاً لطيف، لكن لا، شكراً. فانا لا اعرفك، اليس كذلك؟ كان يجب ان لا اتكلم معك. لكن من الصعب تذكر امور كهذه وقد نشأت في قرية، وتعودت ان تتحدث مع كل من يصادفك... كم الطقس بارداً!» ارتجفت من الرياح الباردة وشدت بقبعتها اكثر حول اذنيها.

رفع حاجبيه متعجباً: «انك ترفضين عرضي؟»

ابتسمت وقالت: «لا اعتقد ان ذلك يحدث معك عادة، اليس كذلك؟»

راقبت ميرديث الصراع الظاهر على وجه الرجل وهو يحاول ان يسيطر على تعجبه، وتساءلت لما لا يضحك بينما يظهر بوضوح انه مستمتع بصراحتها.

قال ببساطة: «لقد تأخر الوقت، انك تشعرين بالبرد وربما متعبة مثلي أيضاً. ونحن الاثنان ذاهبان الى فينيس...»

قالت تذكره بما عليه من اعمال: «لكن هناك شخص ماعليك مقابله.»

هز كتفيه غير مبال، واخذ البطاقة من جيب معطفه ورمها في سلة المهملات. «لقد عانيت الامرين.» وعلى الرغم من صوته العادي، تفاجأت ميرديث من تعاليه وكرهه للشخص الذي كان ينتظره. تابع: «هل انا مصاب بلعنة امضاء ساعات عدة من وقتي الثمين بانتظار كل طائرة تهبط؟ سأترك المتطفل يذهب الى فينس لوحده.»

قالت تخفف عنه: «يبدو انك تنتظر منذ وقت طويل.»
«بالطبع ذلك، طوال حياتي وانا انتظر.»

ضحكت ميرديث من المبالغة في كلامه وقالت: «ياه، هذا وقت طويل جداً! لا عجب، انك كبرت!» نظرت اليه وهي تفكر انه بلاشك سيضحك ايضاً. لكن توجهه زاد فتوقفت عن المزاح وتابعت بلطف: «ربما صديقك...»

قال: «بل عدوي.» وكأنه عض شفته على زلة لسانه.

شعرت بعدم الراحة من غضبه لكنها قالت: «اه، حسناً، مهما يكن. انت تعلم ان الطقس مخيف في انكلترا... والثلوج تقطع كل الطرقات. ربما ضيفك قد علق بعاصفة ثلجية.»

قال بفرح: «الان هذه فكرة مفرحة.»

لم تكن تعابير وجهه واضحة، لكن شد على قبضتيه بقوة مما جعل ميرديث تندهش من قدرة الرجل على ابقاء عضلات وجهه حيادية. تساءلت مالذي حدث حتى اصبح هذا الايطالي مليء بالحقد.

قالت، وتعابير وجهها تظهر كل ماتفكر وتشعر به كالعادة: «انت لاتقصد ذلك.» احست انها بمشكلة. فالتكلم مع

الغرباء قد يكون عملاً متهوراً، لكنها فكرت به وهو ينتظر متعباً لشخص لايعرفه. وشعرت بالأسف نحوه.

قالت: «ارجوك، ضع نفسك في مكانه...»

هرم شفتيه تدمراً: «لقد فعلت، وهذه هي المشكلة. ولهذا هو هنا. لكنني مسيطر جداً على الوضع.»

باهتمام واضح، درس قلقها، ووجدت انه تجاوب في النهاية مع ابتسامتها لكن ابتسامته كانت باردة. كان هناك شيء في تصرفه الهادئ جعلها تشعر بالثقة نحوه وان هناك نوع من الانسجام بينهما. فهي لم تتعرف على رجل من قبل يتحدث بهذه النعومة... او بهذا التأثير. ابتعدت عنه خطوة بعد ان اكتشفت انها تقف بالقرب منه اكثر مما هو مقبول اجتماعياً.

قالت بقلق: «من الافضل ان اذهب... كنت اتمنى ان اجد احداً بانتظاري، لكنني لاستطيع لومهم لأنهم لم ينتظروني كل هذا الوقت. لو انني اعرف كيف انتقل بجوار المطار كي استطيع الوصول الى فينس.»

ما ان فتح فمه ليعترض على ماتقوله، رفعت يدها لتمنعه وضرب كوعها بالبطاقة التي رماها. سقطت على الارض، ورأت ماكتب عليها «ليسنزو سلفياتي، بنكو دو اورو.»

بدت الدهشة واضحة على وجهها وهي تقرأها ببطء مجدداً، انه اسم الشخص الذي كان يفترض ان ينتظرها. ابتسامته من الفرح والراحة ملأت وجهها.

قالت، والسعادة تظهر على وجهها: «هذا جنون! لقد ادركت للتو من تكون!»

بقي بارداً، لكنه سأل بقلق: «انت ماذا؟»

هزت رأسها بفرح. لقد نسيت كل ما سمعته ما عدا انها رأيت من يساعدها في حمل حقائبها والتكلم معها. قالت بنصر: «انت كاتب في البنك؟»

قال غاضباً، ومن بين اسنانه: «صاحب بنك.»

ابتسمت، مدركة انها جرحت كبرياؤه: «صاحب بنك، ام كاتب فيه، لافرق عندي. سيسعدك ان تعلم، سيد ليسنزو سلفياتي ان رحلتك لم تكن بلا طائل.»

زاد غضبه، وقال مصححاً لها: «ليسنزو، وكيف يكون ذلك؟»

قالت بسعادة: «لأنني، انا ميرديث وليمز.»

قال ليسنزو: «ميرديث...!» واطبق فمه، لم يعد هناك اي اثر للاحترام. بدا وكأنه صدم باسمها. اسقطت ميرديث يدها الممدودة لمصافحته بدهشة. الغضب من رؤيتها كان قوياً لدرجة انه كان يرتجف، قال بحقد واضح: «هذا مستحيل!» صرخت، غير آبهة لغضبه: «لا، ليس كذلك! لما يجب ان يكون مستحيلاً!»

قال بسرعة: «لأن ميرديث وليمز هو رجل، اعلم ذلك بالتاكيد.»

قالت بحزم: «حسناً، ميرديث هذه هي امرأة، من القبعة على رأسي حتى حذائي، اعلم ذلك...»

قاطعها بصوت حاد كزئير الاسد: «لا تمازحيني! من انت؟» غضبه الصارخ جعلها تتراجع خطوات الى الوراء.

قالت مستغربة من شدة غضبه: «لقد اخبرتك، ميرديث. انني الشخص الذي اتيت لاستقباله. ادا وليمز هي جدتي.»

بدت الدهشة واضحة على وجهه: «انا لا اصدق ذلك.» قال

بصوت غريب: «امرأة؟» شتم بصوت خفيف: «المدعية...» توقف عن تكلمة ما يريد قوله وتنفس بعمق، مسيطراً على الغضب الذي في داخله الذي بقي يظهر جلياً في لمعان عينيه. قال فجأة «لديك اخوة؟»

حاولت ميرديث ان تجمع افكارها المشتتة. لم تكن تعلم لما ليسنزو مهتم بذلك، ولما ينتظر باهتمام واضح اجابتها. «انني الطفلة الوحيدة في عائلتي. ليس هناك احد غيري...»

تمتم كلمات غير مفهومة بعدها بدا عليه قليلاً من الراحة. قال: «انت سيئة بما يكفي.»

فجأة توضحت المسألة وعلمت ميرديث لما كان يتجول في المطار كالاسد الغضبان. ليس ذلك بسبب الانتظار الطويل، ولا بسبب البرد القاسي الذي عاناه.

ان الامر اسوء من ذلك. فهو يعلم كل شيء عن الابتزاز. شعرت بأن عينيه تغمضان، وكأنهما تريدان ان تمحوان كل شيء: الاحراج، والصدمة والشعور العميق بالخجل. لاجب انه يبدو وكأنه يريد دق عنقها. تأوهت. كل ذلك الكره المخيف للرجل الذي ينتظره كان لها.

قالت منزعة: «هذا مخيف، لقد ادركت انني هنا بسبب... الابتزاز؟» لم تستطع ان تتفوه الكلمة الاخيرة بلا تلعثم.

رفع حاجبيه بانتقاد، وقال بحدة: «حسناً، انت لا تخفين ماتضميرين له، اليس كذلك؟»

احمرت على الفور من الالهانة الموجهة لها: «ماذا تعني؟ هل تعتقد انني اتيت...؟»

اكمل ليسنزو، ماتريد قوله ببطء وبوضوح، ليبرز لها اكثر

قلة احترام ممكنة: «لتكملة الابتزاز الذي بدأت به جدتك؟ نعم، هذا ما اعتقده. والالما ازعجت نفسك بالمجيء قاطعة نصف قارة أوروبا خلال طقس مثلج كهذا؟

قالت، غير مصدقة: «اه، كيف تجرؤ؟ واجبك يقضي عليك ملاقتي، لا ان تعطي الاحكام... وهذا ما لا يحق لك به. هذه القضية هي بيني وبين كورزيني.»

قال بهدوء: «لا، انها بينك وبينني.» حدق بها بقوة.

قالت: «انا لا اتعامل مع الوسطاء.» ادركت للتو انه انزعج جداً من الالهانة، لكن الوضع خطير جداً ولا تستطيع ان تتعامل معه بلباقة. «لقد قلت لك في رسالتي الاسبوع الماضي انني اريد منك ان تحدد لي موعداً معه، غداً.» تابعت بكبرياء وكرامة: «وحتى ذلك الوقت، دعني أمر، استطيع ان اصل بنفسي الى اي فندق.»

صممت ميرديث بكل قوتها ان تريه انها تستطيع تدبير امرها بدون صاحب بنك وقح سمع نصف الحقائق ووصل الى نتائج خاطئة. بسرعة قصوى مرت امامه، مجبرة نفسها على السير بقوة وبارادة فوق الثلج المكوم نحو اقرب موقف للباص.

قال أمراً: «تعالى الى هنا.» تجاهلته، فتابع بغضب: «انك تتصرفين بحماقة.»

استدارت ميرديث نحوه، بغضب كبير: «لا اعتقد ذلك! انت من يتصرف بحماقة. الناس التي تصل الى احكام متسرعة مبنية على بعض الاقاويل وبراهين واهية هي الحمقاء. انت وكورزيني مخطئان تماماً. بالنسبة لجدتي ولي حتى بالنسبة الى وجودي.» هزت رأسها وتابعت: «حتى ان

مخيلتكم ما لم تعتبر ان ممكن ان تكون ميرديث هي امرأة! «انت من...» وتوقف عن الكلام محدقاً بها بإحباط لأن ما تقوله صحيح.

«ليس هناك شيء في رسالتي يوحي بأنني رجل. هذا خطأ قمت به. لما لا تعترف انه يمكن ان يكون لك اخطاء اخرى؟» ادارت وجهها عنه، وامسكت بالبرنامج من حقيبتها وهي تنظر ان كان هناك باص يمر من هنا قبل ان تتجمد من البرد. سمعت وقع خطواته على الثلج تبتعد بسرعة وشعرت بأن اعصابها ترتاح. ذهب ليسنزو بعد مرور لحظات، ثم توقفت تاكسي بالقرب منها واخرج رأسه الاشقر من النافذة.

قال بكبرياء: «اصعدي.»

قالت: «من تكون، حاكم، مدير! تاوه بغضب مخيف، لكنها بقيت واقفة مكانها، وهي تقول: «لن اصعد مع انسان يفكر انني هنا وراء ابتزاز ما. سأتدبر الامر بنفسى.» استعادت هدوءها وتابعت: «لكن ما عليك الا الانتظار، ليسنزو سلفياتي! وستتمنى انك لم...»

فتح الباب على الفور وقفز ليسنزو من السيارة كالعاصفة، ممسكاً بيدها بقوة، ووجهه مليئاً بالغضب. صرخت ميرديث ما ان شدها بقوة نحوه.

قال: «لا تهدديني ابدأ، ولمعلوماتك، لقد تمنيت كثيراً انني لو لم اسمع بك او بجدتك الماكرة. لكنك ستصعدين في هذه التاكسي وتتوقفي عن هذه التصرفات السخيفة، حتى لو اضطررت لحملك ورميك مثل حقائبك السخيفة. انني اعني ذلك. انن قرري هل ستصعدين بنفسك، ام تريدين مساعدتي.»

غضبه الصارخ أثار رعبها. لكنها محقة بما تفعله لذلك بقيت واقفة، ورفعت وجهها له بغير اهتمام مع انها كانت ستنهمر دموعها من الغضب.

«انت تعتقد انني حفيذة مجرمة...»

قاطعها بسخرية: «انا لا اعتقد. انا اعلم ذلك بكل تأكيد. لديك عشر ثوانٍ فقط.»

حدق بها بعينين ثاقبتين. فبدأت ترتجف، لا تصدق كل هذا الوضع. لم يكن امراً معقولاً أن تدان بهذا الشكل بدون اسباب حقيقية.

قالت بتأثر: «انك مخطيء. لقد كنت دائماً امينة. رباني والدي على...»

«الكذب، الغش، السرقة، خمسة... اربعة...»

شقت طريقها لتبتعد عنه: «اه! دعني أمر، والا...»

صرخ ليسنزو، وهو يضع يده بقوة على ذراعها: «والا ماذا؟ لا تكوني سخيفة.» نظر الى عنادها القوي وتمتم شيئاً بالاطيالية، تابع بقوة: «الا تعلمين انه لا يوجد نقل عام حتى الفجر؟»

قالت بخيبة امل: «الفجر؟»

استغل خيبة أملها. وبدون اية كلمة، التقط الحقايب ورماهم في السيارة فسمحت له بياس ان يجلسها في السيارة. نظرت اليه بقلق وارتجفت من غضبه الصارخ.

تمتمت بتهذيب واضح: «شكراً لك.»

قال من بين اسنانه: «لا تفعلني، اكره ان تظني انني افعل ذلك بسبب طيبة قلبي. لقد حدث اننا في ذات المكان، واشعر انني مهان بسبب انتظارك كل هذا الوقت. لم يتسن لي النوم الا

فترة قصيرة في اليومين الماضيين بسبب تأخر موعد الطائرة، كما وانني مرهق، وهذا هو سبب دعوتي لك وليس هناك من سبب آخر. مفهوم؟»

قالت بهدوء: «بالتمام.» بدت وكأنها غير متأثرة بكرهه الظاهر لها فقالت: «لكنني اريد الحفاظ على استقلاليتي. اصبر على دفع نصف الاجرة.»

نظر اليها متفاجئاً وهز كتفيه: «حسناً. لما علي ان أفقر نفسي لأجلك؟»

شحب وجهها، وبالكاد سمعته يصرخ بالسائق لينطلق. سارت السيارة ببطء في الليل المظلم بينما جلست ميرديث بدون حراك، تتذكر بالأمم متى سمعت هذه الكلمات من قبل: «افقر نفسي.»

لقد حدث ذلك منذ سنة تقريباً، عندما اوصل ساعي البريد رسالة من فينيس الى كوخ صغير في وايلز كانت تتشارك بالسكن فيه مع جدتها. قرأت جدتها الرسالة، صرخت بالأمم وسقطت منهارة. شعرت ميرديث ان الذكرى تجلدها حتى العظم، متذكرة كم عانت لتخفف عن جدتها خلال الانتظار الطويل لوصول سيارة الاسعاف لنقلها الى المستشفى، وهي تعرف ان جدتها تتعرض للمرة الثالثة لأزمة قلبية.

بعد فترة طويلة قرأت تلك الرسالة. انها مرسله من شخص يدعى كورزيني، طالباً منها ان تعيد له المفتاح ومهدداً بأنه سيتقدم بشكوى ضد جدتها مدعياً عليها بالابتزاز. وانهى رسالته بالقول: «لقد افقرت نفسي لأجلك لسنوات طوال. ولن استمر بذلك ابداً.»

حتى الان، مجرد تذكر الامر، يملأها بشعور أليم يحز داخل

قلبها. كان اتهامه خطأ غير معقول. كانت ترغب بمراسلة الرجل لتعترض عما قاله، لكنها لم تكن تملك عنواناً له، و فقط عندما امتلكت الوكالة الكاملة بالتصرف عن جدتها وجدت صلة وصل بين فينيس وبنك دو أورو.

والآن هي وجهاً لوجه مع الرجل الذي يعتقد حقاً ان جدتها مذنبه. اخذت نفساً عميقاً لتستجمع قوتها. وسألت بهدوء: «ماهي العلاقة بينك وبين كورزيني؟»
نظر اليها بعينيه الغامضتين للحظة ثم ابعد عينيه وهو يقول: «ان لديه حساب في البنك.»

على الرغم من دقات قلبها السريعة، حاولت ان تهدأ نفسها وان تكون منطقية: «لقد فهمت، ومن الطبيعي ان تقف بجانبه، اذا كان من احد زبائنك. استطيع ان افهم تهجمك علي.»
قال بسخرية قوية: «هذا كرم منك. اولاً حاولت تضليلي بأنك ستدفعين نصف الاجرة والآن تخبريني انك تسمحين لي باحتقار المجرمة.»

صرخت وهي ترفع نظرها نحوه: «المجرمة! لا، لا... اعطني فرصة لاشرح لك.»

«سأعطيك ذات الفرصة التي اعطيها لثعلب جائع في قفص للأرانب، لا تحاولي ان تتملقيني. انني محصن ضد النعومة والتصرف بخفة.»

قالت بكبرياء واضح: «اه، هل تدينني بكل بساطة؟» تنهدت بقوة وهي تحاول التخفيف عن نفسها.

بسرعة امسك وجهها بيديه: «نعم، انا افعل ذلك.» واخذ يدرس وجهها باهتمام. نظر الى عينيها، وكأنه يسلط عليها اشعة ليزر لتصل الى دماغها.

تعجبت ميرديث من شدة تأثرها به وسألت بصوت اجش:
«ما الذي تنظر اليه؟»
«البراءة.»
«وماذا؟»

ساد صمت غريب في السيارة. ابتعدت عنه لتجلس في زاوية السيارة بينما ابعد يديه عنها ليفك ازرار معطفه، وليظهر بدلة مخططة انيقة وثمانية.
تمتم قائلاً: «انني ادرس الوقائع باهتمام.»
قالت ببطء: «انت لاتملك اية وقائع.»

امسك بربطة عنقه الذهبية ليخفف من شدتها حول عنقه و عندها شاهدت قميصه ذات اللون الكريم الشاحب ووجدت نفسها تشعر بتشوش غريب في داخلها. ابتسمت من نفسها، على تفكيرها السخيف. فهذا ليس ابن مزارع في قرينتها، بهم ليقترب من الفتاة الوحيدة الجميلة على بعد عشرين ميلاً

تمتم يائساً: «انت لا تشبهين بشيء الرجل الذي كنت اتوقع قدومه.»

قالت بقسوة: «شكراً لك، اعتقد ان هذا مديح لي. ان تخيلاتك الواسعة جعلت من ميرديث وليمز عضو في عصابة مشهورة.» ابتسمت ابتسامة مقتضبة، تريد ان تخفف عنه ببعض المرح: «وعوضاً عن ذلك لقد وجدت امرأة شابة تضع قبعه على رأسها كغطاء لإبريق الشاي. اتمنى ان لا يكون قد خاب ظنك؟»

لم يجب، لكنه حرك شفثيه بطريقة وكأنه سعيد بشيء ما، فتمنت ان يكون ذلك بسبب طبعها المرح الشجاع. ربما

تستطيع ان تربحه لجانبها في النهاية لكن كلماته التالية قضت على كل آمالها.

« خاب ظني؟ اجل، انني كذلك. كنت اتمنى لو انك علقت بعاصفة ثلجية.»

احمر وجهها من كثرة الاحراج، وصرخت: «هذا امر غير لطيف البتة.»

«كذلك الابتزاز.»

قالت بحزن: «أوافقك الرأي، وسنعمل على توضيح سوء التفاهم هذا، اذن اخبرني ماذا تعتقد انك تعرف عني.»

اصبحت عيناها الزرقاوان غامضتين، وهما تنظران اليه بتحد. فهناك عواصف قوية في عيني ذلك الرجل، وقد تسقط كلها على رأسها. اشارات صغيرة تخفي وجود الخطر المسيطر عليها. وجهه القاسي، الخيوط البيضاء حول شفثيه. والاعصاب المشدودة واضحة في جسده لكن، مهما كان ذلك خطراً لها، عليها العمل على وضع كل شيء في نصابه.

قال بصوت قاس: «اعلم كل شيء، انا من أستلم رسالتك الى البنك، متسائلة عن الحساب الشهري الذي يصل الى حساب جدتك.»

قالت متلعثمة: «نعم، وهذا مايدهشني، ان قد يكون هناك علاقة بين هذه الاموال واتهام كورزيني. لم تجب ابدأ على رسالتي.»

قال بسرعة: «هذا أمر لايعنيك.»

اجابت تدافع عن نفسها: «بالطبع يعنيني! قلت لك ان لدي وكالة تتعلق بكل اعمال جدتي.»

«لكن لماذا؟»

«لقد تعرضت الى ذبحة قلبية واصيبت بشلل كامل.»

سال بتوتر واضح: «ولا... كلمة؟»

لم تفهم ميرديث ردة فعله، همست: «عزيزتي المسكينه، حتى انها لم تتمكن من كتابة رسالة لتقول فيها ماتريده. لقد حاولت ايضاً، بصعوبة بالغة...»

تمتم بنعومة: «اراهن على ذلك.»

صرخت، مندهشة من فقدانه الاحساس بالرأفة: «انك رجل كريمة. اعلم انها قد تعرضت سابقاً لأزمة قلبية، لكنني ألوم كورزيني بالتاكيد على ما اصابها. واذا كنت سأكره احداً ما، سيكون هو بالتحديد، وسأخبره بذلك، عندما أقابله.»

لمعت عينا ليسنزو على الفور لكن ميرديث على تتأثر بذلك. «الابتزاز حقاً! كيف يمكن ان تكون سيدة عجوز بريئة لاتعمل الا باهرتها، وتصلك رسالة كهذه؟»

«انها بريئة!»

عادت ميرديث تجلس في آخر المقعد، لاتهتم لشيء الا ان توضح للرجل، كم ان جدتها امينة وصادقة. قالت وكأنها تنفجر من شدة الغضب: «كلامك سخيف! كيف يمكن لامرأة لم تترك بلدها يوماً ان تتعرف على شخص من فينيس؟ حتى انها لا تحب الغرباء! فهي من وايلز، كما وانها لم تكن تعترف بهاي الشعب الانكليزي، فكيف بها مع الايطاليين.»

قال معترفاً: «انت تدافعين عنها بقوة، ولو كانت على خطأ. اكاد ان اعجب بك بسبب شدة ولائك.»

قالت بحماس: «انا ادافع عن اي شخص من عائلتي يتعرض للتحدي وللأهانة. الا تفعل ذلك انت ايضاً؟»

ضاق وجهه حتى بدا وكأنه مصنوع من رخام وليس من لحم ودم.

قال: «بالطبع، افعل ذلك. فعائلتي هي حياتي..» لمعت عيناه بحرارة واضحة وهو يتابع: «سأعمل على تحطيم اي شخص يهدد سلامتهم..»

بدأت بالقول، محاولة ان تجد امرأً مشتركاً بينهما: «يسعدني انك تشعر كذلك...»

«اذأ، ليس من الحكمة ان تفرحي. لأن ما اشعر به يجعلك في وضع خطر.» قال هذا بصوت ماكر وعيناه تهزآن من غضبها «لاتحاولي ان تفهمي ما اقوله على طريقتك. اخبريني. لما انتظرت كل هذا الوقت لتحضري الي هنا؟» شد بيده على ركبته وهو يسأل بكبرياء: «هل احتجت لكل هذا الوقت لتخترعي هذه القصة ولتختاري ثيابك من مركز للاحسان؟»

صرخت: «ايها الوحش! كيف تجرؤ لتسخر من ثيابي؟ لا تستطيع ان افعل احسن من ذلك. اما بالنسبة لتأخري عن الكتابة، اليس لديك فكرة كم يتطلب منك الوقت، للعناية بشخص متعرض لأزمة قلبية؟» رفعت رأسها بتحد، لأنها لا تريد ان تقدم له اي احساس بالفهم، قالت ببطء: «لم يكن لدي وقت للتفكير، حتى انتهت مراسيم الدفن..»

اذا كانت تتوقع اي احساس بالضيق او حتى اعتذار، فمن الواضح انها اخطأت. سحب يده عن ركبته وبدأ الارتياح على وجهه.

همس ببطء: «اذن لقد توفيت..» فكر للحظة، وطال الصمت بينهما.

حدقت ميرديث بالظلام، متمنية ان تنتهي هذه الرحلة المؤثرة للاعصاب. «قضى الاحساس بالذنب عليها في النهاية.»

شهقت وانهمرت الدموع من عينيها: «لم اسمع شيئاً باطلاً كهذا يوماً..»

قال بسرعة: «انها الحقيقة، لقد كانت تأخذ مالاً ليس لها منذ عشر سنوات.»

صرخت، مرتعبة: «عشر سنوات؟»

سأل بحدة، واصبحت عيناه السوداوان باردتين كالبحر: «ألم تتأكدي من حساب البنك؟ فالابتزاز الذي قامت به جدتك لا بد انه أمن لك مستقبل زاهر.»

احمرت خجلاً لكنها لن تسمح له ان يسبب لها الاحباط: «لقد ادركت الان ان لدى غران مبلغ من المال. ولقد اصيبت بصدمة كبيرة عندما عرفت كم يبلغ.»

قال ليسنزو ساخراً: «انني متأكد من ذلك.»

عندها ميرديث خطر بفكرها أمر غريب، اتسعت عيناه من انذار ما. لقد مضى عشرة سنوات على وفاة والديها، في حادث اصطدام القطار، ومن الواضح ان الدفع قد بدأ حينها.

رجفة قوية احست بها. مامعنى كل هذا؟ هل هذا تعويض ام اجر؟ هل كانت جدتها تعرف بأمر المال... او انها كانت تطالب به؟ عضت على شفتها، محاولة ان تبعد الشك الذي كان يزحف في فكرها كالمرض. كانت جدتها ايضاً لديها احساس بالعدالة الطبيعية. قد يكون ذلك بسبب من كان وراء الحادث. وقد يكون ذلك كورزيني.

قالت ميرديث: «علي ان الاحق زبونك.»

شد على شفتيه وقال ساخراً: «بالطبع، فالبيت الصغير الذي لك ليس كافياً، اليس كذلك؟ لقد وجدت جرة الذهب، واصابعك الصغيرة الجشعة تريد كل ما فيها...»
انكرت بسرعة: «لا!»

«لاتقاطعي! فأنا لست معتاداً على الاحاديث الملققة. وان كان لديك اي احساس بالمنطق، لن تقومي بالاستخفاف بي. الفينيسيون يعرفون كل شيء عن الخداع. فكل ماتقومين به وتقولينه هو كلعب الاطفال.»

قالت بامتعاض: «اذن قل لي ماهي مخططاتي، اذن.»

«لقد قلت لك. لتتبعي عادات عائلتك بابتزاز كورزيني.»

شعرت ميرديث بتشنج اعصابها وبشحوب وجهها. همست: «كيف يمكن لأفكارك الخاصة ان تستنتج دوافعي؟»
ارتجفت مان امسك باصابعه القاسية ذقنها ورفع وجهها وهكذا اجبرت عيناها الخائفتان للنظر اليه.

قال بسرعة: «توقفي عن هذه المسرحية السخيفة. لقد حذرتك، لا تلعبى دور الفتاة البريئة معي. انا احتقر جدتك على كل ما فعلته وعلى كل ما سببت لكورزيني من ألم. وانا لا اصدق للحظة واحدة انك كنت حقاً تجهلين انك غنية. ماذا كانت تفعل؟ تعيش على الخبز والجبن؟»

صرخت، وهي تحاول التخلص من هزئه: «في الواقع، لم يكن لدينا ابدأ مال كاف! كنا نعيش في كوخ مستأجر في وادي وايلز بدون اية رفاهية. ولقد اصبحت الحياة اكثر قساوة عندما اضطررت للتخلي عن عملي من اجل الاعتناء بها...»

قاطعها بنعومة واستهزاء: «اه، توقفي، الان، انت لا تتوقعين مني ان اصدق هذه القصة الحزينة!»

قالت بكبرياء: «انها ليست «الحزينة»، وأنا لست اطلب الشفقة. انا بالكاد اشرح لك...»

«لكنني اعرف تماماً ان مركز الخدمات الاجتماعية كانت وضعتها في اماكن خاصة، ان كانت فقيرة كما تدعين...»
صرخت على الفور: «ماكنت حلمت بترك الغرباء يهتمون بصحة جدتي.»

نظر اليها غير مصدق: «اه، الحفيدة المثالية، لا يستطيع المرء الا ان يتخيل انه يجري في عروقك دماء زرقاء، مع صفات نادرة.»

احست ميرديث بلهجة الازدراء في صوته، فنظرت اليه بهدوء، وسالته: «مالذي تعرفه عن عائلتي؟»

ربما كان يدرك ان امها فنانة، لذلك هو يهزء منها، ازداد تسارع نبضات قلبها. اذا كان كذلك، فكيف له ان يعرف؟ لا، قالت بحزم لنفسها. لا يمكن ان يعرف... لأنه ليس هناك اي اتصال بينها وبين كورزيني. لا، لا!

بدأت اعصابها تنتفض وهي تجمع هذه المعلومات مع بعضها البعض وقد بدأ قلقها بالتزايد. لقد أخذ والدها اسم عائلة امها عندما تزوجا. قال ذلك بسبب شهرة أمها وبقي يستعمل هذا الاسم طوال عمره، السيد وليمز. هل كان هناك سبب آخر؟ بدأت يداها بالارتجاج.

لاحظ ليسنزو ذلك فقال بنعومة: «كان لدى جدتك المال الكافي لشراء منزل خاص بها لو ارادت ذلك.»

قالت باحباط: «لكنني لم اكن اعلم بذلك! ليس قبل ان استلم اعمالها... وفي كل الحالات، كنت سأبقى اهتم بها...»
قال من بين اسنانه، بغضب وببطء شديد: «امر مقنع جداً.»

اعتذر منك، اعتذر منك! أمر مؤسف انه ليس هناك مشاهدين
كثير لرؤية فقرك وولاءك. لكن لقد ولدت هكذا، اليس كذلك؟
همست بخشونة: «ولدت...؟ لا اعلم ماذا تعني!» ونظرت الى
وجهه لتفهم الغموض الذي يحيط به.

قرب وجهه منها اكثر، وقال: «لا؟ فكري بالامر. انت لا
تعلمين الكثير عن الفينسين، اليس كذلك؟»

قالت بشجاعة: «لست متأكدة انني اريد ان اعرف.»
«لو كنت تعرفين لما كنت تحاولين ان تنزعي الغطاء عن
عيني.» قال ذلك وشد قبعتها على وجهها اكثر، فرأى
الخوف في عينيها. تابع قائلاً: «من الحكمة ان تخافي. لأنك
جزء من عملية الابتزاز. اين كنت تحضرين كل هذا في مختبر
من الرفاهية.»

انكرت بضعف: «لا، لم يحدث ذلك.» شعرت وكأنها ستنهز
«لقد قلت لك...» لكن الشرر في عينيه لم يدعها تكمل، والان
علمت كيف شعرت جدتها، حين ارادت ان تتكلم ولم تستطع
القيام بذلك! اصبح وجهه غاضباً ما ان تفرقت الدموع في
عينيها وبدأت بالانهيار على خديها.

قال بسرعة، وقد بدا انه غير متأثر مطلقاً: «يمكنك ان
تتخلي عن ذلك، فالحياة قد جعلتني اقوى من الشفقة. لقد
ضحيت بكل انواع السعادة منذ ان كنت طفلاً. لقد عملت
و درست عشرين ساعة في اليوم لأساعد عائلتي... بينما انت،
تباً لك، كنت تعيشين عالية على مال كورزيني!»

همست مرتعبة: «اه، ارجوك! لا تفكر ذلك بي...»
صرخ بغضب: «كفى! كفى! انك تضيعين وقتك ان كنت
تتوسلين اي رافة مني. ليس هناك اي احساس نحوك.

فالجشع والاختلاس تستحقان العقوبة.» ارتجفت تحت
نظراته وهو يقول: «اعترض على طريقة ارتدائك للثياب
وكانك تعملين في احد المنازل وقد اتيت تحملين اغراضك
في حقائب يدوية وكأنك ذاهبة الى مكان لغسيل الثياب.»
«حقيقتي...»

«نعم، نعم، اعرف القصة. لقد كسرت. انك تهينين ذكائي
باساليبك الجشعة! اذا كانت هذه اساليبك، لتدخلي بطريقة
مؤثرة على حياتي، فلقد فشلت. اعلم تماماً ماذا تريدن،
وانني متأكد من ذلك تماماً كوجودك هنا.» امسك بيدها
بقساوة وكأنها سجينه وتابع: «سأمنعك من الحصول على
ماتريدين.»

الفصل الثاني

تمسكت ميرديث بالمقعد، تشعر بالرعب من العنف القوي في وجه ليسنزو. كان يبدو عليه انه جاهز لرميها خارج السيارة، فكرت ان عليها تهدئته.

قالت له بهدوء: «كل الذي اريده هو ان احرر اسمي، وان اتخلص من ذلك الخطأ. اريد ان أقنع كورزيني ان يتوقف عن دفع هذه الاموال...»

قاطعها بنعومة: «انت تغضبيني حقاً». التقت عيناها بعينيه المتقدتين فارتجفت، تمننت لو يصرخ. فهذه السيطرة القوية على صوته واعصابه كانت تزيد من توترها. «انك تبالغين في الدور الذي كتبته لنفسك.»

قالت والقلق ظاهر عليها: «ليس اذا كنت انا وجدتي بريئتين من عملية الابتزاز هذه. اقسم لك، انني مندهشة تماماً، ليسنزو. اليس هناك احتمال ان يكون هناك خطأ ما في الكمبيوتر، ربما؟ هل كان كورزيني يدفع المال لشخص آخر؟ فلا جدتي ولا والدي قد زاروا مرة ايطاليا. انا اعلم ذلك، لأن هذا ما قالته جدتي يوماً، عندما كنت معهم على متن الباخرة مرة. انهم بالتأكيد لم يذكروا فينيس...»

«لم يفعلوا ذلك؟» ونظر اليها مطولاً وكأنه يدرس حقيقة ماتقوله وقد شعرت وكأن عينيه قد اخترقتا رأسها.

قالت بهدوء: «انني لست بكاذبة، كيف يمكن ان اجعلك تقتنع؟ الا تستطيع ان تمنحني بعض الشك بما اقوله؟ لقد حدث

نوع من التشابك بين الحسابات او اي شيء ما.» بدأ صوتها يرتجف. «اوقف الدفع، اتوسل اليك ان تفعل ذلك!»

قال بصوت اجش: «لا تبالغي في هذا الدور، فقد أنفذ ما تقولينه...»

قالت وهي تزفر: «اتمنى ان تفعل ذلك. فهذا ما اريده.» قال ببطء: «خطأ ما.» واخذ ينظر الى يديها المرتجفتين وهي تضعهما في حضنها. «يمكننا الاتفاق على ذلك؟» تابع بحذر: «استطيع ان اتدبر امر ايقاف الدفع لك.»

احست بمدى تأثيره وتساءلت بينها وبين نفسها عن السبب، لكنها كانت متعبة كثيراً لتفكر. قالت: «اسمع، لو انك تعرف جدتي، لكنت علمت لما انا حازمة بهذا الامر.» قالت باهتمام، مدركة ان هذه هي فرصتها كي تقنعه. «لقد كانت مستقيمة وليس لها علاقة بأحد. استطيع ان ادع عدداً كبيراً من الناس يكتبون لك عما اقوله. مثلاً، رجل الدين في الوادي، انك تؤمن بصدق كلام رجل متدين، اليس كذلك؟» «بالطبع.»

احست ميرديث بوضوح في الرؤية في فكرها، فقد شعرت انه اخيراً بدأ يستمع اليها حقاً. «كانت جدتي امرأة متدينة، وتعطي عشر تقاعدها لاعمال الخير والاحسان وتقرأ في الكتاب المقدس يومياً. لم تفعل يوماً ما يشين. فلقد كانت انسانة صارمة بشكل غير معقول ولديها اخلاق عالية، تؤمن ان كل انسان يحاسب على كل مايقوم به. هل تبدو لك هذه الاخلاق من يقوم بالابتزاز؟»

«بالطبع لا، لكن اذا كان ما تقولينه صحيح، على الاقل انها مذهبة لقبولها المال تحت اسم خاطيء. كان عليها ان تتساءل

عن الحقيقة الواضحة في حسابها المصرفي المتراكم..
عضت ميرديث على شفتها، واعترفت بالرغم عنها: «لا
استطيع تفسير ذلك ايضاً، ربما هذا ماكانت تحاول شرحه،
بعد اصابتها بالأزمة النهائية.»

قال بحدة: «اه، انني متأكد من ذلك. لا بد انها كانت صدمة
عليها، ان تدرك انها لم تقم بحساباتها على ما ارادت.»
شهقت ميرديث: «ايها المغرور!» هز كتفيه. فأجبرت نفسها
على الهدوء، وتابعت: «لم تكن جدتي يوماً مهتمة بالبنوك،
كما انها لم تفهم الحساب جيداً. كانت تبقي اموالها في علبة
للأحذية تحت سريرها.» اضافت بتوتر: «لم يكن هناك اي
سحب من تلك الاموال، أستطيع ان اريك كشف الحساب بعد
قليل.»

تجهم وجهه فجأة وقطب حاجبيه بشك: «لم تسحب اية
اموال منها؟ لكن...» رأى عينيها المضطربتين فتابع: «ربما
كانت توفرهم لك.»

«لي؟ انا لم اعرف...» واختفى صوتها بينما ازدادت
عيناها اتساعاً.

قال بامتعاض: «نعم؟»

عضت على شفتها، وقالت، مجبرة بصدق: «لقد... لقد قالت
مرة انها متأكدة انني سأكون بالف خير.»

قال بلهجة الانتصار: «والان وصلنا الى صلب الموضوع،
اريد تفسيراً محدداً... اذا كنت فقيرة كما تدعين وان المال لم
يلمس ابداً، من دفع لك ثمن بطاقة السفر؟»

اجابت ببساطة: «لقد دفعتها مما وفرته من أموال.» تنهدت
وهي تتابع: «كل مامعي في هذا العالم.»

سخر منها غير مصدق: «انك تقولين لي انك صرفت كل ما
وفرته من مال لتأتي الى هنا كي تزيلي كل التباس يحيط
باسم جدتك؟»

صرخت بتأثر: «نعم! الان تدرك كم ان هذا الامر مهم
بالنسبة لي!»

قال على الفور: «كان بإمكانك اخذ المال والبقاء صامته.»
قالت بتوتر: «بالطبع لا استطيع، فبالكاد كنت انام بسبب كل
هذا القلق. كان عليّ القدوم، مع انني كنت اكره مجرد التفكير
بالحضور.» تابعت بسخرية: «حتى الان لم يكن الامر
مسلماً.»

«لم يكن الابتزاز يوماً امرأ مسلماً. ميرديث، اما انت زكية
جداً، او انك سانجة بشكل غير معقول. لا استطيع الحكم.
مهما يكن، اذا لم يكن المال قد لمس بعد...» هز كتفيه،
وابتسم ابتسامة خفيفة: «انني تقريباً أميل الى تصديقك.»
قالت بحرارة وهي تمسك بذراعه: «اه، ليسنزو، شكر ألك!»
بدا متوتراً جداً، قال بضيق: «ارجوك لا تلمسيني.» سحبت
يدها بسرعة عن المعطف الناعم واصطبغ وجهها بالاحمرار
من شدة الخجل اردف قائلاً: «لم اقل انني اصدقك. انا بالكاد
اتحفظ بحكمي مع انني املك اقتراح يحل كل الوضع الذي نحن
لهه.»

قالت بسرعة: «قل لي.» مع انها كانت مندهشة من سيطرته
على الوضع، تابعت: «اي شي تريده.»

قال بفخر واعتزاز: «حسناً، عودي الى بلادك على متن اول
طائرة. وانا سأحدث مع كورزيني، سأشرح له عن خطأ
الابتزاز وسأحدث بالخير عنك. انني متأكد انه سيكون

سعيداً جداً ليووقف الدفع، ولن يحدث اي شيء آخر..» نظر مباشرة الى عينيها: «وإذا كنت تحبين، سأقنعه ان يترك لك المال الذي دفع سابقاً...»

قالت، مشككة بدوافعه: «بالطبع لا! انا لا اسمح لشخص آخر ان ينظف سجلي. من اجل راحة فكري، علي مواجهة الرجل وجهاً لوجه. اريد ان نفترق كاصدقاء. ولقد قلت لك سابقاً. انني لا اريد ذلك المال الملوث. كيف يمكن ان احتفظ به ان لم يكن لي؟»

نظر الى الدهشة الواضحة على وجهها، وابتسم ببطء: «انك تبالغين الان، ميرديث، انك تتخلين عن حقوق كل تلك الاموال... وتصرفين النظر عن الذي سببه كورزيني لوفاة جدتك... وتريدين مقابلته لتقولي له مرحباً؟ ولكي تفترقا كأصدقاء؟»

قالت ببساطة، متسائلة عن سبب سخريته: «نعم، اين الخطأ في ذلك؟ وانت ستساعدني بذلك، اليس كذلك؟»
ضحك ضحكة قصيرة: «كاشتعال النار سأفعل، ايتها الماكرة الصغيرة! لا بد انك تفكرين انني مازلت احبو. نظرات عيناه الباردتان التقتا بعينيها، حدقت به ميرديث بخيبة: «لقد كبرت كفاية لأقع بحيلة كهذه. لديك هدف آخر لمقابلة كورزيني.»

صرخت، وقد فقدت صبرها: «لا، لا هدف آخر لي، انه فقط لا استطيع الاستمرار في العيش بدون ازالة كل هذه الالهانات لاسم جدتي. علي ان اسوي كل هذه الامور. فالاحترام مهم لي اكثر بكثير من بعض المال...»

«بعض المال؟ عزيزتي الصغيرة، إنها ثروة! ولا واحدة في

كامل قواها العقلية تدير ظهرها لتلك الثروة! وإذا كنت تعتقد انني أو من بهذا التصرف المجنون، فلا بد انك تهين معرفتي بطبيعة البشر.»

وأمسك بسخرية بوجهها وتابع: «اي شيء جميل للظاهرين به! سيدة الامانة! اقدم احتراماتي، سنيورة!»
اشتعلت ميرديث غضباً من لمعان عينيه وابتسامته الساخرة. لقد كان مقتنعاً من صحة كلامه لدرجة انها لن تجد طريقة لاقتناعه ببراءتها في هذه اللحظة. لكنها ستفعل، هذا ما فكرت به. وعندها عليه ان يعتذر منها بكل تواضع. عندها بعض اصابعه ندامة.

قالت بسرعة: «حسناً، هكذا اذن.» وهي تشعر بالقلق من انه سير الانتصار على وجهه.

تمتم وهو يقرب وجهه منها: «لقد استسلمت؟»
صرخت: «لا، لكنك لن تسمع، ولن تثق بي وانك متأكد تماماً من نفسك ولا تعتقد مطلقاً انك قد تخطأ. لذلك سأبقى في فينيس لأجد بنفسى ماالذي يجري في كل هذه القضية.»
اخذت مشاعر ليسنزو كلياً على الفور، تتمم بابتسامة مذهالية: «فينيس مشهورة بالحفاظ على اسرارها.»
قالت بقلق: «انت لا تتخلي عن شيء من افكارك، اليس كذلك؟»

قال موافقاً: «لا، ولا قيد انملة. اذا اصررت على البقاء. اذكرك، لن تحصلني على اية مساعدة مني. كما يمكنك العودة الى بلادك الان.» اخفض صوته ليتابع بمكر: «اقترح عليك ان تكوني منطقية وتفعلي ذلك. والا ستورطين بوضع تمنين او انك لم تدخله ابدأ.»

قالت بثقة لا تشعر بها: «انا لا اهرب ابدأ من مسؤولياتي». اجاب وهو يدير ظهره لها: « اذاً لن يمر وقت طويل قبل ان تتمني لو انك فعلت.»

كانت المسافة الطويلة من المطار، مليئة بالقلق بسبب الصمت المتوتر السائد في السيارة. شعرت ميرديث بأعطابها مشدودة كالحبل، وبسبب عداوة ليسنزو وطبيعته المشككة من الصعب عليها ايجاد الحقيقة. لكن عليها رؤية كورزيني. فالرجل اما مجنون او مخطيء.

لن تسمح لليسنزو بوقفها. تذكرت انه تكلم بعاطفة وحنان عن عائلته... فاذا كان يحب زوجته واطفاله لا بد انه يملك قلباً حنوناً تحت تصرفه البارد. عليها ان تضع بعض الثقة فيه.

اخيراً شد ليسنزو معطفه عليه، وهي ارتدت قفازيها الصوف ما ان توقفت السيارة. قال: « هنا، بيزال روما. الى هنا فقط تصل السيارات. لايسمح بالقيادة بعد هذه النقطة.» اخرج من جيبيه محفظة من الجلد جميلة ونظر اليها بتحجب وتابع: « الان عليك دفع حصتك.»

حركت ميرديث قدميها براحة من التشنج الذي كانت تشعر به، سألت: « كم تريد؟» وهي تمد يدها على حقيبتها وتخرج القليل من النقود.

سأل غاضباً: « هل هذا كل ماتملكينه؟»

قالت: « نعم.» وازافت بكبرياء: « لكنني استطيع الحصول على المزيد من المال غداً.»

امسك بأصابعه الطويلة والرشيقة بعض المال... معظمهم كانت منزعة لكنه قال: « هذا جيد، اذاً.» تابع بحدّة، وهو

يراقب الدهشة على وجهها: «لست معتادة ان تدفعي عن نفسك.»

رفعت رأسها على الفور وقالت: « مخطيء، لكنني لست معتادة على المبالغة في المصروف. انا دائماً اذهب برحلات كثيرة. لكن اصدقائي فقراء بالنسبة لك.» رأت تعابير الارباك على وجهه فابتسمت له وقالت: « انت تعلم، انني لا اختار اصدقائي نظراً لحجم محفظة نقودهم.»

«حقاً!» لكن من تعابير وجهه، علمت انه كان يفكر بأنها كاذبة، تابع: « ان قوارب النقل قريبة من هنا.»

قالت: « وهي ايضاً غالية الثمن، اني متأكدة من ذلك. السير على الاقدام ارخص.» علمت انه لم يفهم ماتقصده فتأبعت: « ربما صاحب بنك يستطيع تأمين ما يطلبونه، لكنني اراهن انني لا استطيع.»

« اشعر برغبة جامحة على تركك تتنقلين في فينيس على هواك بعد هذه المحاضرة عن الفوارق الاجتماعية.»

قالت وهي تتبعد عنه: « يعطيني الله القوة!»

قال: « عودي الى هنا! انا من سيدفع هذه المرة، اذا كان هذا سبب اعتراضك.» اصبحت عيناه اشد قساوة ومرارة: « انت لا تمنعين ان تجولت في فينيس على حسابي، اليس كذلك؟»

«بالطبع امانع. افعل ما يحلو لك. انا لا اقبل اي خدمات منك وان اضيع اموالي على اشياء غير ضرورية. سامشي.»

اخذت من جيب معطفها خريطة فينيس، والتصميم بارز على وجهها.

قال متفاجئاً «امرأة، تمنعني عن صرف المال؟ انا لا ادري ان كنت عاملة نشيطة، ام مجرد امرأة بخيلة.»

تفاجأت ميرديث عن رغبته الدائمة في البحث عن دافع خفي لكل ماتقوله: «حاول ان تعرف..» تنهدت. وهي تفكر ان اهل فينيس لا يبدو عليهم الاستقامة على الاطلاق.

رفع حاجبيه وهو يقول: «اذن تريدين الوصول سيراً على الاقدام؟» هزت رأسها. وكأن الفكرة اعجبته، فالتقط حقائبها بينما حدق به سائق التاكسي فاغراً فمه. تتمم ليسنزو شيئاً ما للرجل، الذي ضحك متفهماً.

قالت بهدوء: «شكراً لك.»

تتمم ليسنزو: «كلانا سيندم على مانفعله.» بينما سارا يقطعان الساحة الكبرى.

لم تشعر بالندم، في البداية، بسبب الاحساس المذهل الذي كانت تعيشه.

فمن الواضح ان فينيس مدينة يجب ان تشاهد على الاقدام، او ربما افضل بقارب يسير ببطء شديد. لأن كل شيء فيها يزيد من الاحساس بالعيش في حلم رائع بعيداً عن المدن الصاخبة. فالسير على الثلج ضمن هذه الشوارع الضيقة والمهجورة يملأك بأحاساس العيش في قصص الاساطير.

نظرت ميرديث الى احدى المباني المؤلفة من اربع طوابق التي تحف بالشارع. احست وكأن هذه المباني ترحب بها. نظرت الى الامام بقلق، ادركت ان خطوات ليسنزو السريعة قد ابعده عن نظرها. بمفردها في ذلك الشارع المظلم. شعرت بالخوف من محاولته أن يضيعها، كي يعلمها درساً قاسياً. كل الذي كانت تسمعه وقع خطواته على الثلج وصوت ضربات حقائبها ببعضهم.

صرخت بقلق: «ليسنزو اين انت؟»

قال، بينما تردد صوته في الصمت: «الى اليمين، استمري في السير.» اسرعت نحو الزاوية، مسرورة برؤية معطفه الداكن ثانياً. للحظة ما، كان يمثل الأمان لها. قالت عندما اقتربت منه: «انها طريق طويلة.» محاولة ان تتخلص من مخاوفها، وهي تشعر بالضيق من هذه المخاوف الغريبة. قال يذكرها: «انت من اراد السير.»

قالت وهي تتنهد: «اعرف، لكنني نسيت كم كنت متعبة. لقد رأيت، لا أملك المال الكافي بيدي لأدفع ثمن حجز غرفة لنوم ليلة البارحة في فندق في هيت ترو عندما تأخرت الطائرة البارحة، لذلك امضيت ليلة الامس في المطار على الارض...» قاطعها متذمراً: «من كتب لك كل هذه التثرثرة؟ لا بد انك تتكونين ممثلة افضل بنص افضل.»

قالت بعناد: «انا لست ممثلة.» متنبهة ثانية لتعليقه الماكر عن اختصاص امها. او ربما هي شديدة الشك والارتياب. قال ببرودة، وبدون اية شفقة: «فقط خففي من كل هذه الدراما. فأنا غير مهتم. واذنا كنت لا تحبين ما يحدث معك، عليك الاتصال بأحد ليقلك الى المطار.»

صرخت متعجبة: «العودة الى بلادي؟ انا لا اترجع ابداً. فأنا مثال في العناد.»

شيء من الغضب صبغ وجهه. قال بنعومة مفتعلة: «حسناً، اليس هذا صدفة؟ وانا كذلك. لكنك الان في منطقتي. ولدي حق الافضلية، ميرديث، وانا اقصد في استعماله ضدك.»

وجدت ان عداوته مثيرة للقلق. حدقت به بعينين واسعتين، كان الثلج يتساقط على وجهها، قالت متجهمه: «انا لا اعلم اما لا تدفعني في القناة.»

قال بصوت اجش وهو يحدق بها: «ولا انا ايضاً، الا، اذا كنت بالطبع...» تابع وهو يبتسم بمكر: «أوفرك لشيء آخر.» اخفضت ميرديث رأسها لتخفي ارتباكها. شددت بالشال الصوفي حول عنقها وغطت اذنيها بالقبعة السميقة التي تعتمرها.

كان قد ابتعد عنها، ليسير عبر قناة تقود مباشرة تحت مبنى ضخم.

تبعته مترددة، وعندما انتهت من القناة، وجدت نفسها في ساحة صغيرة وفي الحال ادركت انها بلا شك القناة الكبرى نفسها. توقفت عن المسير، مبهورة الانفاس.

قالت بانبهار وقد نسيت كل تعبها: «اه، لم ار في حياتي مكاناً بكل هذا الجمال.»

ادار ليسنزو رأسه، ولمع شعره الاشقر كالذهب السائل تحت مصباح قديم معلق في احد الجدار: «بالطبع لم تفعلني هذه فينيس.» قال ذلك بكبرياء قوي، وواضح.

قالت بأسى: «لو انني اتمكن يوماً من رؤيتها كسائحة. لكن لن تتسنى لي الفرصة والوقت ثانية.»

كان الثلج ينهمر بغزارة ويغطي كل القوارب الصغيرة التي تتهادى على المياه في الظلام. كان الصمت مطبقاً. قطعت ميرديث انفاسها من الدهشة، اخذت تنظر الى القصور التي تحف بالقناة، وهي تشعر بالرهبة. فلقد كانت تبدو وكأنها وهم من العصور الوسطى.

سأل ليسنزو وقد فقد صبره، متمنياً ان يسرع: «ماذا تفعلين؟ تتمنين ان يأتي أمير ما ويدعوك الى احد هذه القصور؟»

ضحكت: «بالطبع لا! انني فقط اختلس النظر. متسائلة عن الحياة في القصور واحلم. امر مذهل العيش في قصر!»
سأل باهتمام: «تشعرين بالغيرة؟»

ضحكت واجابت: «من اشرف فينيس؟ اراهن ان لديهم مشاكل كثيرة في حياتهم، مثلنا. كايجاد عمال لتنظيف كل هذا الزجاج. لا بد انهم شريريون.»

ابتسم وقال مفكراً: «نعم، لا بد انهم كذلك. لكن فكري بالفائدة التي تجنيها كونك ارسقراطية، القوة، المركز الاجتماعي الكبير، والاحترام.» قال بتأثر وكأنه يقول ذلك لنفسه.

صمتت ميرديث للحظة، يبدو ان ليسنزو لا يكفيه انه صاحب بنك. بل هو يريد كل ماذكره. قالت وكأنها تحلم: «اتخيل كونتيسة رائعة الجمال تشرب الكوكتيل في هذه الشرفات الرومانسية. وحيث يقدم الطعام على فرش من الزهور... لا بد انه امر رائع، مراقبة العالم يطفو على الماء وانت تأكل وتشرب ما لذ وطاب. اتساءل كيف هي الحياة في قصر بني منذ خمسمئة سنة؟»

نظر اليها وقال: «باردة، مظلمة.»

شدت على شفيتها بغضب: «انت لست رومانسياً.»

قال بحدة: «لا وقت لدي للرومانسية.»

راقبته بعدم رضى وقالت: «هذا منطلق رجال الاعمال. تدبير امور البنك ليس كل شيء. لا بد ان تترك مجالاً للأحلام.»

«لدي احلامي ولقد قمت على تحقيقها.» حدق في المسافات امامه حيث تلتوي القناة لتختفي عن الانظار. «لقد عملت حتى تمكنت من تحقيق ما اریده.»

قالت بثقة: «ان لدي طوحي، ايضاً». اخذت تفكر بدار الحضانة التي تريد ان تملكها في يوم ما. لقد فكرت بذلك منذ زمن طويل لو انها غنية، هذا لن يمنعها من الاهتمام بالاطفال، ولن تأخذ مالاً من الامهات اللواتي هنّ بحاجة ماسة للعمل. اضافت بشوق كبير: «اشياء كنت استطيع القيام بها لو انني املك المال.»

تمتم قائلاً: «لقد حصلت على مايكفي، اليس كذلك.»
قالت بعناد: «لا، لم احصل.»

رفع ليسنزو رأسه الى السماء التي تلمع بالنجوم وقال: «ما هذا الجشع! اعلمي بنصيحتي. اكتفي بما حصلت عليه واستثمريه جيداً، بعناية، يمكنك تحقيق كل احلامك بدون حاجة لأحد. ومن الطبيعي، انني اتوقع منك ان توقعي على اوراق. انك لن تبالبي بالمزيد من المال من كورزيني.»
قالت غاضبة: «استطيع ان افعل ذلك.» لا يمكن ان تحتفظ بالمال. كيف يمكنها ذلك؟

قال ليسنزو بهدوء: «لقد فهمت. شكراً لـ لا اعلامي.»

ابتسمت ميرديث: «حسناً، انت محق علي ان ابقي عينايتي مفتوحتين للحصول على مليونير طالما انا هنا.»

قال: «انك مهووسة بالمال، اليس كذلك؟»

اعترفت بحزن: «انه دائماً في فكري.» وهي تفكر كم هو قاس عليها ان توفر اي مبلغ من المال.

قال بانتقاد: «علي ان احذر زبوني الثري.»

ضحكت وهي تقول: «لا تزعج نفسك لن يهتم احد بي. انني لست ناعمة ومدللة كما يريد الفينيسيون.»

«همم، اذن انت تعترفين. لكنني غير مقتنع. ها قد وصلنا.» اشار بيده الى جانب احد المباني في نهاية الساحة، كان المبنى مضاء بقناديل تلمع تحت الثلج المتساقط.

سألت بتعجب: «هل تعيش عائلتك هنا؟» لأنه يبدو انه كان قصرأ في السابق، فالاقواس القديمة والنوافذ على طراز القرون الوسطى وشرفات روميو وجوليت ذات الاحجار المنحوتة كل ذلك يعطيها جواً من القمص والاساطير.

ابتسم ليسنزو بمرارة: «لا تمتلك عائلتي البالازو.» صمت لفترة قبل ان يتابع: «انه يتألف من عدة غرف.»

اثارت تخيلاتها رؤية ليسنزو الشاب الطموح، يعمل ويدرس من اجل امتحاناته للبنك وليبقى والداً حنوناً لأطفاله حيث يعيش هو وزوجته في شقة. نظرت اليه بحرارة، متأثرة بتعاطفه مع عائلته... وسعيدة من مجرد التفكير انها ستلعب مع اطفاله.

قالت: «اعتقد انك محظوظ لتعيش هنا. انه ذات موقع رائع، ولا بد انه يبدو مميزاً من القناة. اتمنى ان اتمكن من رؤية واجهته من هناك. هل هو كبير جداً من الداخل؟»

قال، وهو يسخر من كثرة الشوق في كلامها: «جداً كبير جداً ليرضيك، لا تشغلي افكارك الشقة رائعة، لكنها صغيرة.» ضحك من فكرة لمعت في رأسه، وتابع: «لقد اخذ الكثير من الوقت ليصبح تماماً كما اريده.»

فتح باباً جانبياً وسار ضمن قاعة صغيرة، تبعته ميرديث عبر الدرج الرخامي، نظرت الى غرفة مظلمة، وبالكاد رأت مفروشات انيقة وثرديات معلقة بسقوف مرسومة. لكنها استمرت بالسير، عبر الدرج الضيق، ولم تعد ترى شيئاً.

حمل ليسنزو حقائبها وتمتم بكلمات غير مفهومة عنهم، بينما تبعته ميرديث مجبرة جسمها المتعب على السير وراءه، وقدميها ترتجفان بسبب السير الطويل.

انتظرت، في مكان يخيم عليه الظلام، وهي تسمع صوت صرير المفتاح، بعدها تعثر قليلاً، واخذ يحدث نفسه بالإيطالية، فقالت غاضبة: «ماذا هناك؟»

«انا لا اجد... اه. لقد لمستة.» وانا ضوء قوي الغرفة العالية السقف مع نوافذ طويلة وكبيرة.

صرخت: «انها صغيرة؟»

قال: «مقارنة مع... حسناً، نعم، اهلاً بك في غرفتي.» وانحنى لها ساخراً.

ابعدت عينيها عن الثريا الزجاجية الثمينة واخذت تنظر الى محتويات الشقة. لمحة سريعة اعلمتها ان هذه المفروشات الغالية الثمن قد وصلت للتو الى الشقة. فالفرن والمغسلة قد اضيفتا في اللحظة الاخيرة على الحائط الناعم. كذلك السريران الموجودان في الغرفة. ليس هناك زوجة ترحب بها، ولا اطفال يلعبون. ادركت على الفور ان ليس هناك عائلة على الاطلاق، قالت متلعثمة: «اين... اين غرفتي؟»

ابتسم ليسنزو، وقال بلهجة كسولة، وهو يخلع جاكته: «انك تنظرين اليها.»

ابعدت ميرديث عينيها عن قميصه الحريري، وقالت بصوت متشنج: «انت تعني اننا... معاً؟ هنا؟» قابلت انحناء رأسه بخيبة أمل: «لكن... عائلتك...»

قال بسخرية: «لقد رأينا كلنا انني كبير كفاية لأدبر نفسي بمفردي.»

قالت غاضبة من سخريته: «انت تعلم تماماً انني لا يمكن ان ابقى هنا معك.»

بدا عليه السرور. افرغ محتويات الحقائب على احد الاسرة، وقال: «ليس هناك غرف غيرها. لا تقولي انك لم تشاركي غرفة مع احد من قبل؟»

احمر وجهها خجلاً وقالت: «لا، بالطبع لم افعل.»

قال، غير مهتم للحرج الذي تشعر به: «حان الوقت لتفعلي.» رمى بمعطفه على احدى الكراسي المذهبة. وابتسم لها من وراء كتفه.

«هذا سريري، وهذا لك.»

حدقت به برعب وصرخت: «لا يمكن ان تقصد ذلك! لقد اعتقدت انك متزوج. لقد فهمت ذلك، لهذا السبب اتيت معك الى هنا...»

قال بوضوح: «لاتصعي اللوم علي من اجل تفسيرك ماكنت اقله.»

«لكن... لم اكن افكر في مشاركتك... ليسنزو، هل تفعل ذلك لتجبرني على الرحيل؟»

سال ببرودة: «والان لماذا اريد ان افعل ذلك؟ ميرديث، لقد شرحت لك، لقد اعتقدت انني سأقابل رجلاً. وبدا لي حلاً معقولاً ان اتشارك واياه هذه الغرفة.»

«لماذا؟ انك تكره فكرة لقائك لشخص هو...»

قاطعها بحزم: «اذا لم اتمكن من التخلص منه على الفور، لذلك يجب ان ابقى عيني عليه.»

ارتجفت، فلقد كانت متعبة جداً، وكل الذي كانت تريده هو ان تنام وتنام. لكن ليس مع ليسنزو الذي يجد فيها كل اخطاء العالم.

قالت يائسة: «خذني الى غرفة اخرى، عليك ان تفعل ذلك!» اجاب، وهو يضع يديه في جيبي بنطاله وينظر الى وجهها الحزين: «لا استطيع ذلك. لقد اخبرتك عن الكرنفال عندما اجبت عن رسالتك. قلت لك انك مجنونة بالتفكير بالقدوم الى هنا في هذا الوقت. انه حدث عالمي. الا تعلمين ان فينيس مليئة بالزوار؟»

قالت غاضبة: «لم اشاهد اياً منهم.»

«في هذه الساعات المبكرة؟ في هذا الطقس؟ هم ليسوا بمجانين. لكن كل الغرف محجوزة، اؤكد لك ذلك. حتى الحمام عليه ان يحجز قبل ان ياتي السائح الى هنا. انا اؤكد لك انه لا مجال لوجود غرفة في كل هذه المدينة.»

قالت بلهفة: «يجب ان اجد غرفة.» اخذت تنظر الى اي مكان تستطيع الذهاب اليه: «ذلك الباب... الى اين يقود؟»

«انه...» وللحظة، فكرت ميرديث، انه بسبب الغضب الواضح على وجهه، انه ليس متأكداً. تابع متحدياً: «اعرفي بنفسك.»

فعلت، وقالت بخيبة أمل: «خزانة، وذلك؟»

هذه المرة، بدا انه يعرف قال بفرح: «غرفة الحمام. والارض من الرخام وباردة بشكل غير معقول.»

إتكأت بيأس الى الجدار، ليس هناك مسافة كبرى بين السريرين. والغرفة مليئة بالمفروشات بحيث ليس هناك من مجال لترتيب الغرفة بشكل آخر. عضت على شفتها. لقد كان الوضع محرراً جداً. امتلأت عيناها الكبيرتان بدموع الاحباط. اصرت بيأس: «علي الخروج ثانية والبحث. ربما هناك مكان ما في المناطق البعيدة...»

نظر اليها وقد ظهر قليل من الاعجاب في عينيه، ثم وعادت تحديق بوجهه المقنع ثانية.

«الا تعتقدين ان آلاف الزوار لم يفكروا بذلك ايضاً؟ فكري بذلك لحظة. أي امرأة عنيدة انت! ارى انني لن اتعامل معك بسهولة.»

صرخت: «ماذا؟»

زفر بقوة، وقال بضيق: «ميرديث. لا اريد الوقوف هنا والتحدث بهذا الموضوع. اريد ان انام، أنت تعملين على ابتزازي ثانية. كما وانني غير مهتم مطلقاً بفتاة مرتدية قفازات صوفية رمادية اللون.»

سخريته الواضحة جعلتها تحمر خجلاً، خلعت معطفها لتبدو قميصها القطنية الخضراء التي تناسب بنطالها، لاحظت انه ينظر اليها. ببطء، وببعض الثقة، خلعت قفزيها الصوفيتين، ورفعت قبعتها. وكحيوان اطلق من سجنه، شعرها النحاسي انطلق بحرية، ليغطي بشلال احمر كتفها الضعيفتين. على مضض مدت يديها الى شعرها لتسرحه وبعدها توقفت فجأة، لا حظت نظرة ليسنزو الطويلة لها. رفعت ذقنها وكأنها تحذره، لكن يبدو انه فسر تصرفه كما يشاء.

قال، وهو يضم يديه على صدره: «حسناً، هذا افضل. التذكر قد انتهى. برفق! مسرح حقيقي.»

انكرت: «لا.»

اعترض قائلاً: «ارجوك! لا تتخاذلي الان. لديك حس قوي في التمثيل. لقد طارت الفراشة من الشرنقة، وسندريلا تعمل على اغواء الامير. توقيت جيد، ميرديث، امر مدهش

ماتخفينه اليس كذلك؟ المرء لا يصدق حقاً ما يرى. شعرك رائع. هل ورثته عن والدك؟»

ارتجفت عيناها، وتوترها الشديد انبأها ان هناك هدف ما وراء السؤال. بدأت تكتشف ان ليسنزو يختار بدقة كلماته وانه لا يتحدث بلياقة اجتماعية مطلقاً. لكن لماذا يظهر اهتمام بلون شعر والدها؟ احتمال واحد لمع في فكرها. انه يتخيل ان هناك معرفة بينه وبين كورزيني.

اجابت ببرودة، سعيدة ان تفشل كل مايفكر به: «لا اعتقد ذلك مطلقاً.»

سأل والتوتر واضح في صوته: «الا تعلمين؟»

نظرت اليه باهتمام: «لا، لا اعرف. كان شعر والدي رمادي. حتى عندما كنت صغيرة.»

«رمادي.» تحركت رموشه باستغراب لكنه تابع: «من المؤكد ان صورته وهو شاب...»

«لا املك اية صورة. ولا اعتقد ان علي التفكير ان شعره كان احمر، لأنه تغير لونه بسهولة. ربما، اسود، بسبب بشرته الحنطية.»

صوت صغير في داخلها اخبرها كم كان والدها كتوما في الحديث عن ماضيه، كان دائماً يغير الحديث وبذلك لا تعرف شيئاً عنه.

وكانه اتى الى امها من ملجأ، لأنه ليس هناك اية زكريات عن طفولته او شبابه. ارتجفت مرتعبة. ليس هناك شيء يدل على وجوده. والنار قد عملت على ذلك.

قال ليسنزو: «اذأ أمك هي من حملت لك اللون الاحمر لشعرك.»

قالت: «انه يدعى تيتيان.» ودفعت شعرها الى الوراء بسرعة وكأنها تنفي اي اهتمام به.

قال ليسنزو بسرعة: «كان يحب ان يرسمك. تيتيان، هذا هو. ألم يرسمك مرة، ميرديث؟»

رأت الاهتمام بالسؤال في حركة حاجبيه وقررت ان تشبع فضوله: «مرة، كرسم زيتي. عندما كنت امثل دوراً في مسرحية «حلم ليلة صيف.»

«انت ممثلة!»

توقفت عن الكلام، متذكرة إتهامه لها، فردت على مضض: «لا! كنت في الحادية عشر من عمري... وكنت اتعلم المسرح في المدرسة... امي كانت ممثلة، كما تعلم.»

هز برأسه وابتسم لها، عيناها جميلتان وغامضتان كالقهوة العربية. تمتم: «امر مثير.»

ابهدت ميرديث نظرها عنه وتظاهرت بالنظر الى محتويات الغرفة، مررت بيدها فوق احدى الكراسي القديمة باهتمام كبير.

قالت مندهشة: «كرسي رائع.» واخذت تمرر بأصابعها على كل منحوتة فيه.

قال بنعومة: «انت تحبين ان تلمسي الاشياء الباهظة الثمن.»

ابهدت ميرديث يدها بسرعة: «احب الاشياء الجميلة، هل ورثت هذه؟» متمنية ان تعرف شيئاً عن ماضيه.

«الخيريني عن ذلك العمل المسرحي، كيف تمكنت من تمثيل الدور؟»

«حسنأ، في المسرحية، كان يفترض من باك المهرج ان

يقول انه سيضع قوس عظيم يحيط بالارض في مدة اربعين دقيقة...»

قاطعها ليسنزو بقسوة: «اعرف النص جيداً.»

«اه! انك تفاجئني . حسناً، كسر باك رجله. وظن كل واحد منا ان الناس ستنفجر ضحكاً عندما يهم باك بالمسير وهو يلف قدمه في تلك الاثناء.»

انفجر ليسنزو بالضحك هو ايضاً، وتمنت لو انه لم يفعل، فالتغير المذهل في وجهه وصوته جعلها تشعر بالقلق. فاذا قرر ان يستعمل لطفه هذا على امرأة، لابد انه لن يجد اية مقاومة.

اقترب منها اكثر وقال: «هل انت جيدة؟»

سألت بقلق: «بماذا؟»

قال: «لنحصر اهتمامنا الان بالتمثيل. هل حصلت على المهارة بذلك من مراقبتك لأمك؟»

حاولت ان تتخلص من حدة نظراته اليها، انها فقط عيان، هذا ما قالت لنفسها بقوة: «نعم، اعتقد ذلك.»

تمتم: «هل شعرت بالسعادة وانت تقومين بالدور؟»

حاولت ان تسيطر على صوتها وهي تقول: «نعم، لقد كان الامر مسلياً، لكنني لم افكر يوماً في امتهان التمثيل كعمل...»

سأل: «كهواية، مثلاً؟»

قالت، وهي تدرك القصد من سؤاله: «لا، لم يتسن لي الوقت مطلقاً، حتى لو اردت ذلك. كنت دائماً اعلم انني اريد العمل مع الاطفال، لقد قلت لك ذلك.»

«الاطفال! كم هو امر رائع! الاختيار الافضل.»

قالت متلعثمة: «لا... لا اعلم ماذا تقصد.»

قال بحدة: «كاذبة، أتمنى ان لا تسببي لي المشاكل كما فعل باك في المسرحية.»

قالت، وعيناها واسعتان من التوتر: «بالطبع لا. فاننا لست شريرة مثله. كما وانه يملك قدرات خارقة.»

ابتسم لها بسخرية. اغمضت عينيها بيأس. فهي بريئة بالنسبة لهذا الرجل.

قال بصوت ناعم: «كلنا نملك قدرات خارقة للتأثير بالشخص المناسب. هل تعلمين، انني سعيد جداً لأنك لست رجلاً.» ضحك وهو يتابع: «لن تدركي ابدأ كم هو مبلغ سعادتني.»

قالت بصوت اجش: «أتمنى ان لا تتخيل انك تستطيع ان تستفيد مني.»

رد بجفاف: «اريد ان احاول.»

نظرت اليه غير مصدقة، وهي تشعر باحساس غريب. لا بد انه التعب. وهذا هو سبب الارهاق البسيط، ايضاً. ترنحت قليلاً، واغمضت عينيها الزرقاوين المشعيتين. تلعثت يائسة وقالت: «اه، انني متعبة جداً.»

قال بصوت ناعم وهو ينظر اليها: «جملة جميلة، حان الوقت كي ننام، الا تعتقدين ذلك؟» وبدأ ببطء يفك ازرار قميصه، وهو يحدق بها باهتمام.

الفصل الثالث

شعرت بارتباك قوي قبل ان تقول ميرديث: «اووه!»
احمر وجهها خجلاً وحملت حقيبتها وثياب نومها
واسرعت بالذهاب الى الحمام. اغلقت الباب وهي تسمع
صوت ضحكته المنخفضة.

قال بصوت ساخر: «كنت امازحك قليلاً.»

توقفت عن الحركة، تصغي الى اضطراب انفاسها. كان
سيخلع ثيابه بينما تقف امامه. فهو لا يخجل بذلك. رأت
انعكاس وجهها الخائف على المرآة الانيقة، فلمعت عيناها
كالبرق، من الغضب لأنها سمحت لنفسها ان تتأثر وكأنها
فتاة ريفية جاهلة. وهذا ما هي عليه فعلاً، تنهدت بيأس. لقد
تغير عالمها الى حركة انتقام غريب.

رفعت ذقنها بكبرياء. يجب ان يقف احد بوجهه! ضحكته.
سيموت عندما يرى قميص نومها!

استمرت ميرديث بالابتسام لنفسها بينما كانت تغتسل
وترتدي قميص وروب النوم السميكين. من المؤسف انها لا
تملك كريم لوجهها. لكن الان ليس الوقت المناسب لتبدو
فائقة الجمال.

فتحت الباب بشجاعة وسارت خارجة من الحمام.

ادار رأسه عن الوسادة باتجاهها عندما دخلت الغرفة. بدا
شعره الاشقر ونظرات عينيه وكأنه مازال يافعاً.

قال ضاحكاً: «اين لفافات شعرك؟»

قالت بفرح: «لقد ضاعت مني.» وهي تفكر ان عليها ان
تسير بطريقة طبيعية وان لا تتأثر بتحديقه بها.

قال متذمراً: «ليست ثياب نومك قصيرة او حتى شفافة.»

قالت غاضبة: «سأصاب بالبرد في هذا الطقس.»

«لا اعتقد انك ستستمرين في دور الفتاة اللطيفة البريئة. الم

بحن الوقت كي تبدأي باغوائي؟ انني مصاب بخيبة أمل.»

«انك شخص مشاكس.»

اخذت الكثير من الوقت كي تتمكن من ترتيب اغراضها عن

سريرها. وكانت مدركة ان عينيه تتبعانها في كل حركة تقوم

بها، وكأنه يبحث في اغراضها ليرى شيئاً يشير الى

اوطانها. لكنه لم يجد شيئاً.

بقي صامتاً لفترة، وكأنه يقيم كل ماسمعه منها. بعدها

نهد قليلاً، وقال متعجباً: «انا حقاً اصدق انك ترتدين هذا

النوم.»

وتابع غاضباً: «و... لدي احساس قوي انك للمرة الاولى

تلبين بمفردك مع شخص ما.»

التسعت عيناها، وصرخت غاضبة: «بالطبع كذلك.» وكأنها

تدهشة انه يفكر بعكس ذلك.

بدا عليه الارتباك وهو يقول: «هذا من حظي. بريئة ونقية

كالبطح المتساقط.»

قالت بحرارة: «ليس هناك من شيء يدعو للسخرية. هذا

امر طبيعي، في المكان الذي اعيش فيه. فأبي سيغضب في

قهره ان علم انني خرجت مع احد او انني...»

تابع عنها بخشونة: هذا ما ستفعلينه الليلة.»

أهدت عينيها عنه وقالت: «هذا فقط بسبب ان لاخيار لدي.»

وتابعت بلهجة وكأنه لن يجروُ على معاكستها: « لكنني سأبقى كما انا عند الصباح.»

قال وكأنه غير مصدق: « فتاة شريفة، وانت ابنة ممثلة.»
قالت بغضب: « راقب ماتقوله. جدتي ربت أمي على مثل عليا. ولم تكن امي يوماً مبتذلة.»
« بالتأكيد.»

قالت بحزم: « بالتأكيد، هذا ماكانت عليه أمي، وانا ايضاً سأكون مثلها.»

قال وكأنه لا يزال غير مصدق كل الذي يسمعه.
« اي اعترافات مذهلة تخبريني اياها عن عائلتك المهمة.»
قالت بحدة: « كنت اكلمك عن معتقداتي بالاخلاق.»
« لقد كنت واضحة جداً، لكن هناك دائماً الغد.»
قالت مذهولة: « غداً؟»

استدار على سريره وقال: « عمت مساء.»
سرحت شعرها، وبتوتر وضعت الفرشاة جانباً.
اطفأت النور بجانب سريرها واستلقت على الشراشف الباردة. متوقعة ان تنام على الفور. لكنها لم تستطع ان تنسى كل ماسمعه. بقيت متوترة تفكر كيف تستطيع ان تنام وهي...

سمعت صوته يقول: « خففي عنك، لن يلمسك احد.»
قالت بثقة: « لست قلقة.»

لكي تبعد تفكيرها عن ليسنزو، حاولت ان تربط بالمنطق كل ما سمعته عن الابتزاز. مدت يدها الى المفتاح المعلق في عنقها. قد يكون المفتاح الذي طلبه كورزيني في رسالته. محاميها قال لها انه قد يكون لصندوق امانات في البنك في

فينيس. اذا كان الامر كذلك فلا بد ان هناك بعض الحقائق في اتهام كورزيني.

ارتجفت من مجرد التفكير بذلك. هذا يعني ان عليها ان تعتذر من ليسنزو. وببطء اغمضت عينيها وهي تتخيل نفسها تعتذر منه بينما وجهه المنتصر يهزه منها.

بدا الليل لها مليئاً بالاحلام المزعجة، عنها، عن ليسنزو، استيقظت عند الصباح وهي تشعر بالتعب والارهاق.
تنفست برعب: « اه، لا.»

جلست بسرعة لتنظر الى انحاء الغرفة، كان السرير الذي بقربها فارغاً. اعادت ترتيب شراشف السرير وحاولت ان تهديء من توترها.

سمعت صوت طرق خفيف على الباب، نظرت الى اعلى، وشعرها منتشر على الوسادة البيضاء كألجنة اللهب.

قال ليسنزو: « ترتيب جميل، لقد بدأنا ثانية، عزيزتي.»
تابع بصوت عادي: « يمكنك ان تستعملي الحمام الان.»
« شكراً لك.» وانتظرت منه ان يستدير كي تنهض، لكنها ادركت ان التصرف الحسن ليس من طبيعته.

وقف ليسنزو ينشف شعره، بعد ان حلق نقنه. كان يبدو نشيطاً وجذاباً وهو يرتدي قميصاً بيضاء مع بنطلون رمادي.
نظر اليها وقال: « حضري نفسك لأننا سنخرج.»

قالت معترضة: « لم تصبح الساعة السابعة بعد، ولم انم الا بضع ساعات فقط.»

اجاب: « اذهب الى عملي باكراً. انهضي بسرعة سنذهب لتتناول الفطور عندما تصبحين جاهزة. فهناك مطعم قريب من هنا.»

قالت باستياء: «مطعم؟ في هذا الوقت؟ اي شعب انتم؟ افضل ان اتناول الفطور هنا. كما انني سأطهو. وهذا سيوفر عليك المال.»

قال: «كم انت اقتصادية. لكن الجميع يتناول الفطور هنا في المطاعم. انها عادة ونحن في ايطاليا متحضرون كفاية لنقدم القهوة والكرواسان في ساعات الصباح الباكر. كما وانه لا يوجد شيء للأكل هنا. فأنا لم أكل مرة في هذه الغرفة.»

أدارت نظرها في الغرفة وتجهم وجهها. كم هو أمر غريب. من المؤكد ان لا احد يعيش فيها. فليس هناك اية ممتلكات خاصة لأحد. فقط بعض الثياب والاوراق. قد يكون ليسنزو انتقل للعيش هنا البارحة. لا يوجد حتى اية صورة لعائلته... وفي الحمام، تذكرت انها لم تجد شيئاً من ادوات الحلاقة او ماشابه للرجال.

قالت: «حتى انك لا تمضي الكثير من الوقت هنا ايضاً.»
«انتقل باستمرار.»

ابقى عينيه عليها وهو يمسك بربطة عنقه. اخذت تفكر مايعني يتنقل باستمرار بين صديقاته، او انه يغير بيته باستمرار. وجدت ميرديث نفسها تحرق بكل حركة يقوم بها هو يعقد ربطة عنقه الحريرية.

عندما انتهى، وضع يديه في جيبيه وفجأة شعرت بالذنب والحياء، فقد ادركت انه كان سعيداً بدهشتها. ابعدت عينيها عنه وهي تقاوم رغبتها. بالضحك، لو ان الفتيات في القرية علمن انها نامت في نفس الغرفة مع شاب لكن ضايقتها بلا شفقة.

«اسمعي لا تحاولي اغوائي. انك الان مع رجل يتدبر بحكمة كل مايشاهده منذ ان كان يافعاً. لقد رأيت العديد من النساء في طريقي، ميرديث، شقراوات، سمرارات، نحيلات، وكل واحدة منهن لديها دافع قوي يحركها. هل تعلمين ماهو؟»
همست: «الحب؟»

قال: «على الاقل هذا شعور انساني، واقتراحك هذا يخبرني بما تفكرين به الان.» ضحك بقسوة من الاحمرار الداكن الذي تلون به خديها، تابع: «اقول لك ماذا كن يردن. المال ويجب ان تعلمي انني دائماً تجنبت اي اهتمام بي، حتى مع الفتيات الخجولات.»

قالت بغضب: «انك مغرور، وتتحيل اموراً غير موجودة.»
قال بصوت قوي: «ربما استنتج الافكار التي اريدها لأن هذا هو الانطباع الوحيد الذي اصل اليه. والان خذي الامر كتحذير. ابق مستقيمة معي والاسأطمك، مفهوم؟» حدق بها غاضباً، فأخفضت رأسها، مرتعبة من غضبه الغير متوقع. تابع: «حسناً. انهضي من سريرك قبل ان أجرك منه.»
حدقت به ببرودة، وقالت بضيق: «ليس هناك من حاجة.»
نهضت من السرير بسرعة، ووضعت يديها في جيبي روب النوم. وهي مدركة انه يحدق بها بسخرية.

تمتم قائلاً: «ناعمة، بريئة، ونشيطة.»

شدت حزام الروب حول خصرها بغضب. وقالت بحرارة: «تقريباً.» واعادت رأسها الى الورااء ليسقط شعرها على ظهرها كالموج الاحمر.

قال منقداً: «علي ان انسى انك بريئة.»
«وتنسى انني ناعمة.»

اصبحت تعابير وجهه غامضة حين قال: «سنرى، اتمنى لمصلحتك ان تكوني انسانة صادقة. والا سأدعك ترين ماذا افعل بالنساء اللواتي تحاولن ان تجعل مني غيبياً.»

قالت ببساطة: «في هذه اللحظة، انك تفعل من نفسك احمقاً، بدون مساعدتي... ياللهول! هذه الغرفة بحاجة الى تغيير الهواء فيها.» تمتت بهذه الجملة وهي تشعر بالخجل لأنها تهاجمه.

امسكت بشريط الستارة ورفعتها. هدأ غضبها على الفور، من جراء صوت غناء في احد القوارب. كانت النافذة مباشرة فوق القناة، ابعدت الستائر كثيراً كي تتمكن من السماع اكثر. رأت البحار من خلال ضباب الصباح، يجذب في قارب صغير مليء بالخضار الطازجة.

ناداها، عندما رآها تنحني لرؤيته: «ايتها الجميلة، الجميلة!» كان شعرها يتساقط على كتفيها كالشلال الاحمر. وبعد تصرف ليسنزو القاسي معها، احست بشعور لطيف ان ترى من يقدرها.

ابتسمت له بسعادة وقالت: «شكراً لك. شكراً.»

امسك ليسنزو بخصرها وقال: «انتبهى.»

بقيت هادئة. فلقد علمت على الفور انه يستطيع ان يرميها بسهولة من النافذة بدون اية قوة. فتراجعت وهي تسمع صوت اغاني الحب من القارب.

قالت بهدوء: «يمكنك ان تتركني.» وادارت رأسها عندما لم تعد تسمع الا صوت الصدى للغناء.

«يمكنني بالطبع.»

امسك بيدها وقبلها بنعومة.

ابتسم ليسنزو وقال: «ماهذا الوجه الجميل وهاتان العينان الزرقاوان الواسعتان. كل هذا كي تسيطر علي؟» قالت بصراحة: «نعم! لقد اردتهم من اجل ذلك!»

ابتسم ولمس شعرها. وبطريقة ما عرفت ميرديث ان ليس من السهل ان تغير له الموضوع بكلمة او نكتة كما كانت تفعل مع اصدقائها.

لدى ليسنزو شيء خاص غير موجود بأصدقائها في الريف.

قال بصوت اجش: «أجداك مثيرة للاهتمام واعتقدت انه علي ان اخبرك بذلك.» بعدها ابتعد عنها.

اندهشت من عاطفتها القوية. سارت نحو غرفة الحمام وهي مدركة ان عينيه تراقبها بدقة. لقد كانت دائماً تشعر بالفخر من ثقته بنفسها ومن قوة شخصيتها. لكن يبدو الان انها بحاجة لكل ذرة منها.

عندما اصبحا في الشارع، رفع ليسنزو ياقة معطفه عالياً، وكأنه يختبئ. كممثلي الافلام البوليسية، وهذا ما ادهشها. ربما يشعر بالخجل من السير في هذه الشوارع الممطرة مع فتاة ترتدي قبعة كبائعة الورد. ضحكت من نفسها. فأدار رأسه الذهبي لترى عينيه تحدقان بها بقوة من فوق ياقة معطفه العالية.

قال غاضباً: «لديك احساس غريب بالمرح.»

قالت متعمدة: «هذه هي طبيعتي. هل كل شيء جامد في فينيس ما عدا القناة؟»

أجاب: «كل شيء ثابت وحقيقي.»

تنهدت، ليس هناك من مجال لتغيير هذا الرجل، سألت بابتهاج مفتعل: «أليس هناك من فرصة لتذويب الثلج في المستقبل؟»

نظر إليها، وقال بحدة: «سيتحسن الطقس خلال بضعة أيام، ستكونين قد رحلت حينها.»

اجابت بخشونة: «إذا لم أمت من الجوع أولاً، لقد مررنا امام خمسة اماكن تبيع القهوة والمعجنات، بما فيهم المحل الموجود عند الزاوية امام شقتك.»

قال بسخرية: «ربما الاسعار فيها باهظة.»

اجابت بغضب: «او ربما لا تريد ان يراك احد معي.» رأت الغضب في عينيه قبل ان تتابع: «اي المغرور انت!»

قال بصوت منخفض محذراً: «لا تثيري غضبي، فأنا لست في مزاج جيد.»

ادركت ميرديث من لهجة صوته انه صادق فيما يقوله، فلم تتكلم ثانية. سار ليسنزو قلقاً امامها حتى وصلا الى ساحة واسعة، تلمع بقوة من ضوء الثلج المتساقط. وضعت امرأة لوح خشبي لتسير عليه كي لا تقع على الثلج، فأسرع ليسنزو ومد يده كي يساعدها على اجتياز الساحة.

وافقت المرأة على مساعدته القيمة، ابتسمت له وقالت: «شكراً لك.»

نظر الى ميرديث وقال: «تابعي طريقك، وسألحق بك بعد قليل...»

تلعثم بكلامه من جراء الهواء البارد الذي كان يضرب بوجهه وهو يتابع: «الى ذلك المقهى هناك.»

ضربت رياح عاصفة بشعره وهو يشير بيده الى المقهى

في الجانب الاخر من الساحة. ابتعد عنها فسارت ميرديث بهبط عبر الساحة بعدها استدارت.

كان يساعد بلطف المرأة العجوز على اللوح الخشبي، اهتمامه ومساعدته جعلاً ميرديث تفكر بوجه ايجابي فيه. لا يمكن ان يكون انساناً قاسياً وبدون شفقة اذا كان يحترم العجائز ويساعدهم، تساءلت بحيرة، وهي تشعر بالارتياح. بتفكير عميق اخذت تراقب اناقته وتصرفه اللائق، كان شعره يتماوج مع الريح كالذهب السائل في ضوء الصباح. بهبط، وكأنها مجبرة، رفعت ميرديث قبعتها لتترك شعرها ينسدل على كتفيها، بينما اوصل ليسنزو المرأة العجوز الى آخر الساحة.

قالت المرأة بفرح وثقة: «شكراً كثيراً.»

اجاب وهو يبتسم لها بحرارة: «اهلاً، سيدتي.»

استدار ليري ميرديث، قد وقفت بجانب المقهى واتكأت على الحائط، شعرها الاحمر يعكس جمالاً لا يوصف مع بشرة وجهها والثلج المتساقط على شعرها كالسكر الذي يرش على الحلوى. كانت تبتسم بحرارة ايضاً، وجهها يدل على مدى طيبتها وسعادتها، بسبب المنظر المؤثر ليسنزو هو والمرأة العجوز وعينيه المليئتين بالحب والعطف، واللتين تحولتا الى ثلج بارد لمجرد رؤيته لميرديث، تحول اللطف الواضح على وجهها الى استغراب وذهول.

بدا لها الامر غريباً انه يحمل لها كل هذه العداوة. اخذت ميرديث تفكر بتركيز ووصلت الى استنتاج وحيد. انه يكره نفسه لأنه معها، لأنه متورط شخصياً...

قالت بغضب: «هذا كورزيني.» وكان الامر اصبح واضحاً

أمامها. لقد قال لها ليسنزو انه سيدافع عن عائلته حتى النهاية. لذلك... «انك قريب له، اليس كذلك؟»

رفع ليسنزو حاجبيه عالياً، قال بسخرية: «ما هذا الاستنتاج الغريب.»

قالت تناقشه: «انا لا ادري لماذا، لكن هذا يجعل الامر منطقياً. لقد قلت انك تكرس نفسك لعائلتك. لذلك افهم عداوتك نحوي اذا كنت ابن عم او شيء من هذا القبيل.»

قال بدهشة: «أ... أبين عم؟»

قالت بصبر تشرح له: «ابن عم لكورزيني. لذلك من السهل عليه ان يوكلك بذلك. اذا كنت اكثر من مدير امواله. وعدا اللحظات التي...» رفعت ذقنها بكبرياء امام عينيه وتابعت: «تنظر الي باعجاب، كأنك تضمر لي العداوة والكره.»

التفت عينا ميرديث بعيني ليسنزو القاسيتين والباردتين فارتجفت من جراء العاصفة القوية التي بعثرت شعرها بكل الاتجاهات.

تمتم قائلاً: «اية مخيلة غريبة لديك. كما وانك تركت نفسك تبردين. كان عليك الدخول وانتظاري في الداخل.» اسرع في فتح باب المقهى، وقال: «اسرعي، ليس هناك من حاجة لجعل الناس في الداخل يعانون من البرد مثلك.»

ترنحت ميرديث قليلاً فأمسك بها كي لا تقع. ناولته معطفها وهي تنظر بقلق الى العيون المحدقة بهما بانزعاج من الاشخاص قرب الباب.

قالت بلطف وهي تسير: «انني آسفة، انه طقس بارد جداً، اليس كذلك؟» هذه المرة، كلامها اللطيف كان له مفعول غريب، لأن كل من مرت أمامه اجاب بتمتمة وكان الناس في

المقهى علموا ماذا تقول. احساسها بالقلق تبخر بدفء الابتسامات والنظرات اللطيفة.

وقفت بجانب ليسنزو وهي اكثر سعادة، تنظر الى ماحولها. هذا ما تحبه... عدد كبير من الناس تتحدث مع بعضها بحب وصدافة وكانهم في حفلة عائلية كبيرة. معظمهم رجال يشربون القهوة او الشراب، وامامهم صحنون كبيرة من الحلوى والمعجنات. وأحد الاشخاص كان يأكل البيتزا!

قالت مندеше: «طعام دسم عند الصباح وشراب قوي! ما هذه الطريقة ليبدأ بها الانسان يومه!» كان ليسنزو يرد على التحيات الموجهة اليه بانحناءة من رأسه الاشقر. سألت باهتمام: «تعجبني شهيتهم للأكل. هل هؤلاء الناس زبائن لديك في البنك؟»

«لا. ان معظمهم يعملون على القوارب.»

قالت بشفقة: «اتوقع انهم يحتاجون لطعام دسم كي يشعروا بالدفء في هذا الطقس المثلج.»

«نعم، الطقس بارد جداً، خاصة في القناة.» سألتها بهشونة: «تريدين القهوة؟»

شدت على شفتيها بامتعاض. كانت تستعد للبقاء سعيدة هنا، وانها تحاول ان تنسى وضعها الدقيق. لذا قالت بهتديب: «افضل الشاي، من فضلك.»

تمتم ليسنزو، والغضب باد عليه: «الشاي! اسكبيه على رأسك.»

اجابت بجفاف: «افضل ان يكون في فنجان كبير.» اجابها باهتسامة واضحة. لقد تمكنت من اضحائه وهذا آخر

ما تتمناه. تابعت بفرح أكثر: «لدي اسنان قوية. كم يبلغ ثمن فطائر الحلوى تلك؟»

«ثروة كبيرة!» وتابع نظراتها الجائعة الى الوعاء الكبير المليء بفطائر دونات الموضوعة بعناية وترتيب: «اطلبي ماتريدينه. كل ماتريدينه. اصرفي كما تشائين... فالبنك يدفع. البييتزا، المربي، الفطائر، عصير طازج...» اخذ يتحدث بسرعة الى النادل بلغة إيطالية جميلة وهو ينظر الى الرجل الذي يقف عند آلة القهوة.

قالت بحزم: «لا شكراً. لن اطلب الكثير من الطعام غير الضروري يمكنك ان تتفق من زبونك كما تشاء. لكنني سأدفع ثمن ما اطلبه.»

قال وهو ينظر اليها بامعان: «موقف ذكي جداً يا آنسة التزمت.»

لاحظت باهتمام تعليقه الساخر، فوافقت على كلامه بمرارة: «الست كذلك؟ قد يكونا والداي قد صرفا كل فلس قبضاه على مساعدة اصدقائهما العاطلين عن العمل. لكن جدتي عمدت على تربيتي بتقشف ولم تسمح لي يوماً ان استدين.» شمت راحة رائحة القهوة الشهية ونظرت بشك الى فنجان الشاي الخفيف.

قال وهو يسخر: «امر رائع، اعتقد انني فهمت ما تريدين قوله. انت مقتصدة. لكن البنك لن يفلس بسبب انفاقي عليك ثمن فنجان من الشاي وبعض فطائر الكرنفال.»

شرب من فنجان القهوة وبعدها سكب كوباً من الماء. جربت ميرديث ان تشرب من فنجانها واشمأزت من طعمه. وبدون اية كلمة، قدم ليسنزو لها كوباً من القهوة. كان طعم

القهوة غني ولذيذ، لا يشبه بشيء طعم القهوة في بيتها. تماماً مثل ليسنزو شربت القهوة ثم الماء، مكتشفة بسعادة الفرق بين طعمهما المتناقض.

قالت باعجاب: «هذا رائع.»

اجاب بفخر: «بالطبع. فمياه فينيسيا افضل مياه في العالم اجمع، كذلك القهوة. اننا نعمل على تصديرها منذ قرون. انها مختلفة بطعمها عن اي مكان آخر.»

ابتسمت ميرديث من كبريائه وشعرت باحساس من الثقة يطغى على كل من حولها. فصاحب المقهى يخدم بفرح كل الزبائن. العمال ورجال القوارب، كذلك الفتيات في المقهى يعملن بفرح وثقة.

نظرت الى صاحب المقهى الذي كان يشرب ماء مثلجاً، وهو يرتاح قليلاً. سألته باهتمام: «هل تتكلم الانكليزية؟» فاحنى برأسه، ابتسمت له بحرارة وتابعت: «انا متأكدة انك قمت بعمل يوم كامل حتى الان. لا بد انك تنهض باكراً.»

قال، وهو يلغظ الكلام بدقة: «نعم، كذلك زوجتي. هي من تطهو الطعام. والان تصنع فطائر بالسّمك مع صلصة الفاصوليا. هل تريدين؟»

قالت بحزن: «تبدو جيدة.» لكن بقي وجهها يشع باللطف والصدقة.

قال مشجعاً: «اه، تذوقيه. انه جاهز، مع قليلاً من الفليفلة الحارة...»

«اه، لا! لا استطيع! ليس في هذا الوقت من الصباح...» «سنيورة، في هذا اليوم البارد، يجب ان تأكلي مايشعرك بالدفء هنا.» ضرب بيده على معدته الكبيرة فضحكت

بمرح، وقبلت دعوته وهي تنظر بعينين واسعتين عندما سكب لها كمية كبيرة من الفليفلة الحارة في وعاء.

قالت معترضة: «سأقع على الأرض من شدة حره.»

«هيا، جربي. سنلتقطك عندما تقعين.»

بدا ان نصف الموجودين قد نظروا اليها ليعرفوا رأيها. تذوقت الطعام، اغمضت عينيها بسرعة، ثم ابتسمت. بعدها اكلت كل ما في الوعاء مع بعض الخبز الساخن الذي قدمه لها صاحب المقهى.

قالت وقد اصطبغ وجهها بلون زهري جميل: «رائع جداً.»
دوى تصفيق قوي، واستدارت لترى كل ما حولها بفرح. ثم صفقت مع صاحب المقهى... لترى نفسها بين ذراعي زوجة الرجل. قالت المرأة وهي تترك ميرديث الضاحكة: «بيلا، بيليسيما!»

تمتم ليسنزو: «انها تقول انك جميلة جداً.»

تمتت المرأة بكلام وهي تنظر الى خصلات شعرها

الذهبية والحمراء.

«النظر الى شعرك يشعرها بالسعادة.»

شعرت ميرديث باضطراب من عمق صوته. انحنت المرأة باحترام الى ليسنزو، الذي كان يراقب بهدوء ردة فعل ميرديث، وعادت الى المطبخ.

اعادت ميرديث اهتمامها الى ما حولها، ثم قالت بحماس: «احب هذا المكان.» شعرت بأن ليسنزو قد ارتاح للجو السائد وها هو يتكلم مع احد الاشخاص. تابعت بفرح: «انه مليء بالحياة والفرح. فالناس عاطفيون تماماً. كسنيين طفولتي.»

قال بحزن: «انت محظوظة.»

وكان قناع من الحزن غطى وجهها: «افتقد كثيراً لأمي

وابي.»

تلعثمت ولم تعد تستطيع ان تكمل حديثها. فلم يضمها احد الى صدره كما فعلت المرأة، منذ سنوات عدة. وبالمقارنة مع عاطفة ابويها القوية وتزمت جدتها. وضعت يدها على صدرها لتبعد الألم القوي الذي تشعر به. احساس بالضيق ظهر على وجه ليسنزو القاسي، قال بخشونة: «توقفي عن اعترافاتك العاطفية. فالموضوع لا يهمني مطلقاً.»

توقفت ميرديث على الفور عن الافصاح عن عواطفها له واخذت تاكل ببطء احدى «الفطائر» بحزن. كانت محلاة بالمربي والبندق، حاولت ان تلتقط قطعة اخرى عندما رأت ليسنزو يرفع رأسه عند سماعه صوت كلام طفل. باهتمام لاحقت نظراته. كانت عيناه الغامضتان تحديقان برجل يحمل طفلاً يرتدي ثوب مهرج.

حبست انفاسها وهي تراقب النعومة واللفظ اللتين ظهرتتا على وجه ليسنزو. بفرح، اخذت تنظر الى الطفل الجميل الذي كان يتكلم بفرح بينما والده المحب يحشوه بفطائر انكرنفال. كانت بحاجة لموضوع ما ليكسر الجليد بينهما. وربما قد حصلت عليه. قالت بنعومة: «حب الوالد أمر مهم جداً.»

اضطرب ليسنزو، وقال مقاطعاً: «هل هو كذلك؟ لم اعرف والدي يوماً.»

قالت وهي تشعر بالأسى: «اه!» لمست ذراعه مواسية وقابلت عينيه الحائرتين. «اني آسفة. انه لأمر مؤلم. ولقد فكرت يوماً انني انسانة غير محظوظة. لقد توفي والدي

عندما كنت في سن المراهقة، لكنهما احباني كثيراً لذلك اشعر بالامان طوال حياتي.»

سألها ببطء: «ألم تشعر والدتك بالاسى لوجودك؟ فوجود طفل لا بد ان يسبب الكثير من الفشل لحياتها الفنية؟»

ضحكت ميرديث: «ليس لوقت طويل. فلقد كنت اذهب معها الى كل مكان. وقد استعادت شهرتها بسرعة كبيرة.»

«انت تشبهينها، اليس كذلك؟»

قالت وهي تفكر: «اجل. عندما علمت انها حامل شعرت بسعادة كبيرة. فلقد كانت قد فقدت الامل بالانجاب، وقد كانا يائسين عندما ولدت.» كانت عينا ليسنزو لا تفارق الطفل بجانب والده. قالت بنعومة: «انا احب الاطفال، لقد كنت اعمل في دار الحضانة قبل ان اتركه للاهتمام بجديتي. لقد كان عملاً رائعاً، الاهتمام بالاطفال. افهم بما احست أمي عندما علمت انها حامل بعد فترة طويلة. تخيل كم يكون الامر مؤسفاً، اذا كنت تريد اطفالاً لا تستطيع الحصول عليهم.»

سكب ليسنزو المزيد من الماء في كوبه، ونظر اليها بعينين ثاقبتين. راقبت ميرديث، اصابعه الطويلة كيف كانت تضغط على الكوب حتى اصبحت بيضاء ولقد ظنت انه سيسحقه الى شظايا. تساءلت ماهي الاسرار المخبأة في رأسه! شيء ما يزعجه، شيء له علاقة بالاطفال... ولقد كانت ترغب بالحاح ان تعرف ماهو.

قال بلامبالاة: «الازواج الذين لا ينجبون يستطيعون ان يحضنوا ايتاماً.»

قالت بنعومة موافقة: «آه، اعلم. وأنا سأفعل ذلك، ان لم يكن هناك أمل من أن يكون لي عائلة. لكنها ليست تماماً كولد من

لحمك ودمك، اليس كذلك؟» تابعت النظر الى الخارج ولم تلاحظ الاضطراب الذي ظهر على وجه ليسنزو. ابتسمت وهي تتابع: «كانت امي سعيدة جداً، لدرجة انها اخبرت الجمهور الذي كان يحضر حفلة فترة بعد الظهر في الاعياد! لكنها نسيت ان تخبر ابي اولاً... لقد كان مدير اعمالها، كما تعلم.»

تمتم: «لماذا يجب ان اعلم؟»

تابعت، وهي مهتمة بقصتها: «حسناً، لقد هدم المسرح ان ركض نحوها كالعاصفة ورفعها عن الارض كالمجنون!» ضحكت وهي تتابع: «انهمرت دموع كل الحاضرين.»

انها قصة اخبرتها بها أمها بحب وفرح. دائماً وتكراراً، وفي كل مرة كان وجهها الجميل يطفح بفرح الذكرى. وهذا الفرح ينعكس على وجه ميرديث الان.

ابرز ليسنزو اسنانه وهو يقول: «لا اريد ان أصبح مستمعاً مرتبطاً بقصة طفولتك.»

قالت معذرة: «اني اسفة.» فلقد احست بالآلم من كلامه القاسي. فقصتها سببت له الآلم لأنه لم يعيش لحظة واحدة من حياتها السعيدة. ترددت قليلاً، بعدها قررت ان تعترف له: «انني افهم تماماً شعورك.»

«اشك في ذلك.»

«اعلم ذلك. هل تعرف، فالآن بعد وفاة جدتي لم يعد لدي اهد، اشعر بالوحدة والفراغ. اتمنى... ان يكون لدي عائلة اكثر من اي شيء آخر في العالم.»

قال بغضب: «لما لا تتزوجيني.»

«لا، ليس الامر كذلك... اريد عمات واعمام، اولاد عم وعدد كبير من الاحفاد والحفيدات...»

قال مقاطعاً: «سنغادر الان..» غير متأثر على الاطلاق بأحلامها السخيفة. «لقد قدمت لك فطوراً. ولن تحصلي على شيء آخر مني. لذا يمكنك الذهاب الى مكتب الاستعلامات في سان ماركو لتحجزني للسفر في الطائرة التالية. فأنت لن تجدي كورزيني بنفسك.»

شيء ما جعلها تعض على لسانها، فلقد كانت تريد اخباره ان لديها صندوق امانات، لكنها علمت انه سيضع العراقيل في طريقها. وافقته بهدوء: «قد يكون من المستحيل علي ذلك.» تابعت وهي تبعد شعرها: «انت تعتقد ان علي العودة الى بلادي؟»
تمتم ليسنزو: «اعتقد انه الافضل لك ولكورزيني ان تنسيا بعضكما البعض.»

«فهمت الان...» علمت ميرديث ان عليها ان لا تبدو حذرة جداً لتفهم كل مخططه. فقالت مقترحة: «اعتقد انني استطيع التجول قليلاً قبل الذهاب.» ولأول مرة في حياتها، لم تستطع ان تتكلم بصراحة، وتابعت كلامها بوخز ضمير، لكن هذا الامر مهم جداً: «اين هو البنك الذي تعمل فيه؟ هل استطيع السير معك اليه وبعدها اجد طريقي بنفسني الى سان ماركو؟»
قال بخشونة: «اذا كنت تريدين ذلك.» لكن ميرديث لمحت ابتسامة واضحة من النصر على وجهه. قال وهو يضع في يدها بعض الاوراق النقدية. «ادفعي للرجل على صندوق المحاسبة، هل تفعلين؟ هذا مال يكفي وهذه هي الفاتورة. فأنا اريد التحدث مع احد الاشخاص.»

سار نحو مجموعة من الرجال تعمل في قوارب النقل تجلس نحو طاولة دائرية، بينما ذهبت ميرديث لتدفع المال، وهي تنتظر الى كمية المبلغ في الفاتورة، وبصورة اوتوماتيكية

نظرت الى المال الذي اعطاها اياه. تطلعت بغضب، ثم تحققت من الامر ثانية، اتسعت عينها مندهشة. لقد اعطاها خمس مئة باوند اكثر من المطلوب. بالنسبة لصاحب بنك فهو لايهتم ابداً للمال! نظرت اليه، قرأت انه منهمك جداً بالنقاش، لذلك دفعت المال المطلوب منها. امسك معطفه ووضع على كتفه.
قالت: «ليسنزو، انظر! لقد اعطيتني اكثر من المطلوب بكثير!»

بدت عليه خيبة الامل وهو يأخذ ماتبقى من المال: «هذه الاموال لي؟ انني متعجب من شدة نزاهتك. كان بإمكانك الاحتفاظ بالمال بسهولة.»

نظرت اليه متسائلة: «لكنه مالك!»

نظر اليها محققاً للحظات طويلة. فرفعت حاجبها مستفهمة، ان قالت شيئاً يجعله يتهمها به.

قال: «تعالني معي.» تابع بدون اي تعبير في وجهه او صوته: «اني ذاهب باتجاه جسر ربلاتو، يمكنك العودة بواسطة اكسلراتو، انه قارب بطيء، يسير في القناة الكبرى. وهو يسير بالاتجاهين، ويتوقف في اماكن كثيرة وبذلك يمكنك الحصول على رحلة رخيصة في القناة.»

قالت بحزن: «امر رائع، انظر بشوق لذلك.» وعندما وصلت الى البنك، فكرت، انها اقتربت من الموضوع الالم، وهو صندوق الامانات. احست باضطراب في معدتها. فلقد تعرضت لكل هذه الاهوال لتجد حقيقة عائلتها، والان أصبحت قريبة جداً من الحصول على الجواب ولم تعد متأكدة ان كانت حقاً تريد ان تعرف...

الفصل الرابع

كانت القناة الكبرى مليء بالمراكب من كل الانواع: بعض المراكب للنقل، بعضها الآخر محمل بالخضار الطازجة، وكلها متعددة الاشكال والالوان... بعد قليل من الوقت نسيت ميرديث كل شيء الا المنظر الرائع المدهش امامها.

ابتسمت وهي تقول: «كل هذه الحركة والجمال تجعلني أشعر بالابتهاج!» عندما وصلت الى آخر القناة، رأتها تعج بالناس التي تصعد او تنزل من القوارب السريعة الذي تمر بجانبها، جميع الوجوه تبدو كأنها تعود الى العصور الوسطى وكأنهم خرجوا على الفور من كتب التاريخ. قال ليسنزو، وهو يراقبها ببرودة مصطنعة: «انها ساعة مليئة بالعمل والحركة.»

نظرت ميرديث اليه بحماس، فهي تشعر بالفرح من كل هذه الضجة، الثلج، المراكب الرائعة الجمال، قالت بفرح: «الا تشعر بالبهجة من جراء ذلك في كل يوم بحياتك؟» «الابتهاج!»

تجاهلت طريقة تعبيره بعدم الاهتمام. كانت تعلم تماماً انه يخبىء حقيقة احساسه بالحياة ما ان وصل الى الشارع المليء بالناس. لقد كان يشعر بالفرح مثلها تماماً.

قالت وهي تشير الى الناس التي تمر بقارب متحرك: «لا اعرف كيف تستطيع الناس ان تقرأ الجرائد وهي تمر بمنظر بهذا الجمال.»

نظر ليسنزو باقتضاب حوله وقال: «الجمال يخبو بعد فترة... الا، اذا كان بالطبع، هناك شيء اجمل واعمق فيه ليثير الاهتمام.»

قالت موافقة: «هذا أمر مؤكد.» تساءلت كم هنّ الجميلات اللواتي سببن خيبة أمل له. تابعت: «لكن هناك الكثير في فينيس الذي يصادفك ولا تلاحظه فقط بعينيك، اليس كذلك؟ انه اكثر بكثير من الجمال الذي يحيط بك، واكثر من مجرد جمال زائف.»

قال، بينما لاح اهتمام خفيف في عينيه الغامضتين: «انك تشكين في أمر ما، ماذا ترين وراء القناع التي تقدمه فينيس لزوجها؟»

قالت بنعومة: «الغموض.» واخذت تحديق بالنوافذ الطويلة والستائر التي تبقي العالم خارجاً وتخفي العواطف والانفعالات الحقيقية في الداخل: «كل هذه الابهة الفارغة... هي واجهة للعواطف الحقيقية ولأحزان الناس العاديين التي تعيش في داخلها. انها تحمل الجواب لأسراري في مكان ما. لا بد من وجود اسرار اخرى، وانه لأمر رائع ان يتمكن المرء من اكتشافها...»

قال وهو يمسك بكتفها: «ماذا تعنين بأسرار اخرى؟» ابتسمت وقالت: «لست ادري!» لفت نظرها مجموعة من الاشخاص يرتدون ثياباً إيطالية جميلة يركبون مركب صغير. بدا لها انهم يقومون بنزهة لأنهم يتنقلون من جانب الى آخر في القناة وهم واقفون، مثل الناس التي تحتشد في وسائل النقل في لندن. لمعت عينها بفرح وقالت: «فينيس قديمة جداً ليكون لديها الآف الاسرار: جرائم ثار... اطفال

رفعت ميرديث وجهها المليء بالدموع. ان هناك صلة بين والدها وبين ايطاليا. جالت تلك الفكرة في خاطرها، مانعة اياها عن الحركة.

قال ليسنزو بقوة، وهو يهزها: «ميرديث! ميرديث!»

ببطء شديد ركزت انتباهها عليه، قالت بحزن شديد: «اه! ليسنزو!»

وجدت نفسها لا تقوى على الكلام مع الخوف القوي المسيطر عليها، لأن حياتها كلها قد بنيت على كذبة كبيرة. هذا ماكانت تفكر فيه. فوالدها كان دائماً يلبس ثياباً انيقة، ولا يأكل الا الطعام الجيد والغالي الثمن، يحب الموسيقى، والاشياء الجميلة... بدأت الشكوك التي تتجمع في فكرها تنذرهما. ربما لدى ليسنزو سبب وجيه لمعاملتها بازدراء. ربما عائلتها قد ابتزت المال... فجأة شعرت ان قدميها لم تعد تحملانها، اسرع ليسنزو بامساكها كي لا تقع.

تمتم قائلاً: «هل يعقل ان تكوني هكذا؟»

«ارجوك، لا استطيع...» لم تستطع ان تكمل ماتقولها، كان هناك الكثير من الضجة حولها لكن كل ماكانت تستطيع فعله هو البكاء.

قال: «لم يكن الامر محرراً، حسناً. اذا كنت تريدين البكاء ستفعلين ذلك في مكان خاص. سأخذك الى البنك.»

قال ذلك بصوت منخفض وتابع: «انه في شارع غولد سميث بالقرب من هنا. فمازال الوقت باكراً كي نفتح، وبذلك يمكنك البقاء بمفردك لفترة. فكرت ميرديث انها تسمع بعض اللطف في كلماته، وهذا مااشعرها بالراحة، لكنه بعد ذلك افسد

الامر تماماً اذ قال بعصبية: «وحتى نصل الى هناك، اعلمي معروفأ وواقفي هذا الفيضان.»

الكبرياء هو ما جعلها تلبي طلبه وليس الرغبة في طاعته، مع انها سعيدة بمساعدته لها. انه أمر مثير للسخرية، خاصة انه يعمل على تحطيم حياتها كلها امام عينيها.

كان يحميها كحبيب لها، يحميها من العيون الفضولية بينما كانا يصعدان الدرج لرايلتو بريدج مع متاجره الفاخرة على الجانبين. ازدياد الضجة ونظرة الى الخضار الطازجة والنادرة جعلتها تدرك انها في الاسواق وقد بدا لها امرأ غريباً ان ليسنزو يقوم برد التحية على المارة بصورة دائمة. اخيراً قام بفتح باب كبير منحوت، وبعد لحظة رأت ميرديث انه يقودها الى مكتب كبير ذو مفروشات رائعة وسقف مميز بلوحاته الملونة والثريات الرائعة.

بوجه جامد كالحجر اجلسها على مقعد جلدي وجثى امامها، ممسكاً بيدها، قال بسخرية: «لقد اعتقدت ان دموعك ان تتوقف لقد سألت كالنهر. انك جيدة بذلك حتى انك تنجحين كممثلة رئيسية في مسرح عالمي.»

قالت بحزن: «لا تعجبني وسائلك.»

لمعت عيناه بقوة: «أستعمل أية وسيلة اريدها لأحصل على ما اريده، عندما اريد.»

سألت بغضب: «هل هذا يطبق في العمل ومع النساء.»

ابتسم ابتسامة صغيرة وقال بثقة واضحة: «لم افشل يوماً في الحصول على ما اريده، ان كان في العمل او في الحب.»

قالت بسرعة: «اذن استعد لصدمة قوية.»

نظر اليها بقوة: «لم اتوقف عن ذلك مطلقاً.»

قالت متعمدة ان تخفي اضطرابها: «هل يمكنك ان تحضر لي بعض الماء، من فضلك؟»
ابتسم بسخرية: «بالتأكيد..»

راقبت خطواته الكبيرة فوق البلاط الرخامي. عندما خرج، تراجعت الى الوراء، اغمضت عينيها محاولة ان تهدأ نفسها. لديها الكثير كي تفكر به، الكثير من المشاكل. ترانكيلو، فكرت بذلك، وعاد الحزن والتعب واضح على وجهها. تأوهت بياس. هي تريد ان تعرف الرباط بين والدها وفينيس كما تريد رصاصة في رأسها. وتأوهت بصوت عالٍ. اتى ليسنزو وقال بصوت قاسٍ: «اشربي هذه.» اعطاها كوباً من الماء المتلج وبدأ يسير عبر الغرفة بتوتر ظاهر. شربت الماء وهي تراقبه من تحت رموشها. في هذه الغرفة الرائعة، يبدو وكأنه في عالمه الخاص، فوجهه يحمل تعابير ارسقراطية وكأنه من طبقة النبلاء. احست بالقلق انها قد لا تستطيع الاستمرار معه. كيف توقعت ان تتعامل مع شخص بقوة ليسنزو سلفاتي... رجل لديه الكثير من الحيلة والخداع في دمه... وهي تتوقع ان تقف بوجهه؟
توقف ليسنزو، ونظر غاضباً الى ورقة اعمال على المكتب. سألت بصوت هادىء: «هذا هو مكتبك، اليس كذلك؟ هل انت المدير هنا؟»

لم يتكلم، بدا عليه انه يحاول التفكير امام النافذة الحديدية. كانت اشعة الشمس تشع عبر الزجاج الملون على وجهه. قال وكأنه وصل الى قرار يريد اخبارها به: «لست المدير.» انتظرت وقلبيها يخفق بقوة في صدرها. وتابع: «انا صاحب هذا البنك..»

حدقت به بهدوء، متسائلة كم هناك من الاسرار بعد وراء هذه المظاهر القوية. بدأ جسمها يرتجف. اذا كان هو بهذه الالهمية، فلا بد ان كورزيني اكثر قوة وأهمية من ليسنزو. بدأت بالقول: «لو انك اخبرتني فقط...»
سأل بسخرية: «وهل هذا يشكل فرقاً لديك؟»
«نعم.»

رفع رأسه بكبرياء، أشعة الشمس حولت شعره الذهبي الى اللون الابيض وغطت وجهه. قال بنعومة: «انا اريدك، اذا بقيت هنا، سأحصل عليك... هذا وعد. هذا ماتريدينه ايضاً؟ انت فقيرة، وانا غني...»
قالت غاضبة وبسرعة: «هل تقترح عملية تبادل معي؟»
«اتفاق.»

همست: «انت تدفعني الى الجنون من الغضب.»
اجاب بنعومة: «نعم، هذه هي طريقتي.»
صرخت به: «هذا امر مشين! ليس هناك فرق بين من انت او ما تملك. فاذا لم تكن الرجل الذي احب واذا لم تكن تحبني، عندها لا يعقل ان اكون لك.»
ساد الصمت بينهما واخذ ليسنزو يحدق بها وعلمت انه يفكر اذا ماكانت تستحق المحاولة او انه يقرر خطة شريرة اخرى.

قال: «حسناً.» وسار نحو مكتبه ووصل الى الهاتف: «لقد استسلمت. وقبل ان اندم على طبيعتي الجيدة المؤقتة عليك ان اتركيني اجري بعض الاتصالات وبعدها سأعمل مافي وسعي لاعادتك الى بلادك اليوم.»
فكرت ميرديث بسرعة. لم يكن طبع ليسنزو افضل من الان،

بدا عليه انه قلق بصورة غير طبيعية ليتخلص منها. وهذا لا يعود لأنها رفضته. ومن المؤكد انه لا يحاول ان يحميها من قدر أسوء من الموت. ابتسمت ابتسامة صغيرة. وقررت ان تحارب على الرغم من كل شيء.

قالت متوسلة: « فقط اعطيني لحظة من وقتك.. ارتجفت يده قليلاً مما جعلته يسقط سماعة الهاتف، انتظر ريثما تنتهي من شرب الماء. قالت بصدق: « مازلت متوترة قليلاً.. »

حاولت جاهداً ان تنظر باهتمام حولها في المكتب، لقد كان فعلاً جميلاً وتظاهرها هذا تحول الى اعجاب واضح. قالت معلقة: « يبدو ان أعمالك تسير بشكل جيد.. »

ابتسم بالرغم عنه: « بصعوبة. انت تحبين هذه الاعمال؟ كان البنك يقوم بأعمال مع تامبكيتر في العصور الوسطى، عندما كان الذهب الافريقي هو الافضل.. »

ارادت ان تعرف المزيد، لكنها علمت ان عليها ان تسيطر على الوضع اولاً: « لابد انك تتمتع بكل هذه السلطة.. » زم شفثيه متبرماً وامسك بيده دليل الهاتف، بدا عليه انه فقد صبره، لكنها تابعت: « ماعدا بعض الاعمال المملة، مثل بداية العمل، التاكيد من سلامة صناديق الامانات وهكذا.. » اخذت تتعلم بعض الحيل التي يقوم بها.

كان بالكاد يسمعها: « لا اهتم لذلك.. » فلقد كان مهتماً بالاتصال بأحد الارقام.

قالت بصوت عالٍ وواضح، مع ان قلبها كان يخفق بقوة من توترها الخفي: « حسناً، بما انك تملك المفاتيح وانا زبونة لديك، اريد منك ان تأخذني الى المستودع، ارجوك.. »

جمد فجأة وصرخ غاضباً: « زبونة؟ المستودع؟ ليس هناك شيء فيه... »

تابعت عنه: « ماعدا صناديق الامانات.. »

اعاد سماعة الهاتف مكانها بغضب وضرب بقوة المكتب الزجاجي. وشم بصوت عالٍ. لكن عندما نظر اليها ثانية كان وجهه قد اصبح هادئاً وقد تمكن من اخفاء ردة فعله. ادركت كم هو ماهر باخفاء مشاعره الخاصة: « انه ليس بالمكان المناسب للسياحة... »

قالت بحزم: « انا لا اقوم بالتنزه هنا، انا اقوم بعمل واضح.. »

سال بنعومة: « وماهي امكانية العمل لديك في مستودعنا؟ » قد يكون كلامه ناعماً، لكن ميرديث شعرت وكأنها اصيبت بضربة خنجرين من عينيه. انحنى نحو مكتبه. لسبب ما، هو لا يريد ان تدخل المستودع. يجب ان تحافظ على شفاعتها لتواصل ماتريده.

« لقد ورثت محتويات صندوق امانة. وانا اعتقد انه احد الصناديق في هذا البنك.. »

صرخ ليسنزو برعب: « ورثت، شيء خاص بك؟ »

قالت: « وصية منقذة.. » واخرجتها من حقيبتها. رفعت يدها وتابعت بكبرياء: « وصية لوالداي وجدتي. في ماخص جدتي لديها دين لصندوق امانة في بنك دو أورو. قال لي مدير بنك محلي هذا يعني انها تستأجر صندوق امانة هنا. اريد ان ارى ما في داخله.. »

« لكنك بحاجة الى مفتاح للصندوق، ولقد قلت بنفسك ان عمل كورزيني هو مجرد خطأ في الكمبيوتر. ضاقت بهذا وهو يحدق بوجهها المليء ثقة بالنفس.. »

حركت رأسها بتعب، فهي تخاف من الدقائق القليلة المقبلة. « هذا صحيح، بالرغم من ذلك. لدي مفتاح وقد يفتح احد صناديق الامانات لديك.»

صرخ ليسنزو متهماً: «لقد قلت انك لا تملكين شيئاً يعود لوالدك!»

سألت غاضبة: «والدي؟ لقد اعتقدت هذا المفتاح يخص جدتي ... لقد كان بين اغراضها. على ما اعلم فهي اما قد رمت او أحرقت كل ممتلكات والدي...»

اقترب ليسنزو منها صارخاً: «هي ... ماذا؟» وعيناه الثاقبتان تحديقان بها بقوة.

همست بحزن: «لقد تخلصت من كل شيء. لم يبق من حاجاته اي شيء.»

اغمض ليسنزو عينيه ثم اعاد فتحهما بسرعة، وقال بغضب: «اللعينة! لماذا، لماذا؟»

حدقت ميرديث منذهلة: «انها رغبة والدي. لقد رأيت الوصية، لقد تخلصت جدتي من كل شيء في اللحظة التي علمت بوفاة والدي.»

تنهد بعمق: «ياللهول!»

امتلات عينا ميرديث بالدموع: «اتمنى لو انني املك شيئاً من اغراضه! لقد تم الامر وكأنه مسح عن وجه الارض كلياً.»

تمتم ليسنزو، متأثراً: «أمر غريب! ان يصل الى هذا الحد من الرغبة كي يدمر...» سمعت ميرديث كلامه الغريب، لكنه لم يضيف اية كلمة اخرى... اخذ يسير في الغرفة ذهاباً واياباً وكأنه كان في السجن ولا أمل له في الخروج منه. جمدت ميرديث مكانها واخذت تحديق به بتركيز، شعرت بالخوف

من فكرة مرعبة جالت في فكرها: «انت لاتعتقد ... ان هناك شيء ما... معيب في ماضيه وانه كان يحاول ان يتخلص منه، هل تفكر هكذا؟»

لم يجب للحظة، ولقد بدا وكأنه يحاول السيطرة على عواطفه وانفعالاته. ومع قدرته الغريبة على الخداع، بدا القلق والتوتر عليه بوضوح: «لا تسأليني.»

قالت بصعوبة: «انني أفعل! مالذي تعرفه؟ هل تحاول ان تخفي شيئاً ما عني؟ انت تعلم اشياء عن والدي. اليس كذلك؟» انتظرت جوابه وهي تعاني من عذاب كبير من الشك.

قال، وكأنه يحتفظ بمعلوماته لنفسه: «لقد بدا الامر وكأنه يريد ان ينتهي من ماضيه.»

هزت رأسها متعجبة: «لكن لماذا؟ لقد كان رجلاً جيداً، ليسنزو، كان يحب عائلته كثيراً...»

قاطعها قائلاً: «ارحلي حالياً عن فينيس، اتركي الامور على حالها. قد يكون او لا يكون هناك شيء يريد ان يخفيه. انت لا تريد ان تعرفي ماضي والدك. احتفظي بذكرى جميلة منه.»

ارتجفت خائفة من كلامه القاسي، ومن ان تكتشف شيئاً مريباً عن والدها الرائع لكنها قررت ان تواجه الحقيقة مهما كلفها ذلك.

قالت بصعوبة: «لقد فات الاوان، يجب ان اعلم الحقيقة، يجب ان ارى اذا كان هذا المفتاح يطابق صندوق الامانات هذا واذا كان هناك شيء ما يلقي الضوء على عائلتي.»

امسكت بالسلسلة التي حول عنقها وامسكت بالمفتاح، تابعت بهبطاً: «هذا حق، ولا يمكنك منعي. خذني الى المستودع.»

شد على اسنانه بقوة، كان يرغب بمنعها. اكتشفت فجأة ميرديث ان القناع الذي على وجهه اصبح أقسى. نظر اليها بعينين اشد غموضاً من قبل. إنه يخبئ شيئا ما، سر بالتأكيد، وهو مصمم على ان لا يشاركها اياه. بينما كانت تتحرق شوقاً لمعرفة.

سارت على بضع درجات انيقة لتصل الى مستودع البنك المبني في القرون الوسطى، ومحمي بأبواب كبيرة من الحديد. اضطربت ميرديث من رائحة الهواء المسيطر هناك. تساءلت كم هو عدد التجار الذين خزنوا ثروتهم هنا في الماضي، واسرارهم ايضاً. شعرت بالخوف ان يكون والدها ايضاً. لا، لا يعقل.

لقد احب أمها كثيراً، ولقد تزوجا عندما كان في العشرين من عمره... من المؤكد انه كان صغيراً جداً ليكون له ماضي؟ قالت بقلق: «انه يشبه السجن.» دخلت لتصل الى البوابة الاخيرة حيث هناك صفوف من الصناديق المنظمة الموجودة ضمن الجدران.

ادخل ليسنزو المفتاح في القفل الاخير لتسمع صرير الباب الحديدي يفتح امامها. قال: «هيا يمكنك الدخول.»

نظرت اليه بقلق، غير متأكدة من دعوته الغامضة. كان هناك مكر واضح في صوته. قالت وهي تتظاهر بالضحك. كي تخفي قلقها: «يمكنك ان تتركني هنا ولا احد يعلم بذلك.» اجابها: «استطيع ذلك.»

احست برجفة صغيرة في جسمها. رأت الصناديق داخل المستودع تبدو مثيرة وهي تريد بقوة ان تعرف ما الذي يوجد في الصندوق الذي يحمل الرقم سبعة واربعون، لكن

هذا لا يعني انها ستدخل الى تلك الغرفة بمفردها. فليسنزو يملك هذا البنك. فهو يمكنه ان يفعل مايشاء فيه.

قالت اخيراً، واعصابها مشدودة كالأسلاك: «يجب ان تدخل انت ايضاً.»

قال بابتسامة ساخرة: «كنت راغباً بذلك.»

فكرت ميرديث ان ضحكته تشبه ضحكة هرة وجدت وجبة شهية. توقفت على السير للحظة، بعدها استجمعت قواها وسارت بقوة مصطنعة.

قال ليسنزو: «عليك ان تشعرني بالكبرياء لعدم خوفك.»

قالت متحدية: «من المؤكد ان ليس هناك ما يخافه؟»

«اذا كان هناك ماسيخيفك، فستعرفينه تقريباً.»

ارتعبت، لكنها استجمعت قواها واخذت تنظر الى الصناديق لتجد الرقم الصحيح. في نهاية المستودع وجدته، وبعد وقت طويل، وقفت امام الصندوق تتأمل. بعدها تنهدت بعمق. ليس هناك من حاجة لجعل فترة العذاب اطول.

حاولت ان تفتح القفل بأصابع مرتجفة. كان هناك صوت قوي من جراء صرير المفتاح مما جعل ميرديث تشد على اسنانه لكن القفل لم يفتح. قالت بخيبة أمل: «انه عالق بشدة.»

«أمر مؤسف.» لكن صوته لم يحمل اي أسف على الاطلاق. «ربما هذا المفتاح لا يعود لنا يمكنك ان تحاولي في ذلك آخر.»

رمته بنظرة سريعة. كان يستند الى الجدار القريب منها وعيناه تراقبانها بشدة. اتجه نحوها، وابتسامة واثقة تملو وجهه.

تراجعت ميرديث، لكنها استجمعت قواها وعادت تحاول بلطف ان تفتح الصندوق.

قال: «دعيني افعل ذلك.» وضع يده الكبيرة على يدها، فأبعدت يدها، امسك بالمفتاح وقال: «لنحاول ان نفتحه بقوة قليلاً، اليس كذلك؟»

لم تكن غبية فشعت عيناها بقوة. لاشك انه يبتسم لسبب خاص. نظرت برعب الى يده، لترى انه يحاول ان يضغط بقوة على المفتاح.

امسكت بيده وصرخت برعب: «توقف عن ذلك! لاتفعل! ارجوك. ستكسر المفتاح. وان كان هو المفتاح الصحيح، فلن اتمكن ابدأ من رؤية ما في داخله.»

قال بعناد: «اشعر به يتحرك، انتظري لحظة.»

«لا، اتركه على الفور.»

«اكاد انتهي.»

دهشت ميرديث انه لا يدرك ان المفتاح سينكسر من جراء الضغط القوي عليه. بعدها ادركت انه يتعمد ان يفعل ذلك كي يكسر المفتاح في داخل القفل.

بسرعة، دفعت نفسها بين يديه وبين القفل ودفعت بقوة. ترنح، ليضرب ظهره بالجدار المقابل. نظرة الغضب التي لمعت في عينيه جعلتها تتوقف مندهشة.

قالت، تبرر ما فعلته: «انني اسفة، لكنك جعلتني...» وتوقفت عن الكلام. لم يكن ينظر اليها على الاطلاق. كانت عيناها مسمرتان على شيء خلف اذنها مباشرة.

قال باندهاش: «مادونا!»

استدارت بسرعة لترى ما الذي يحدث: «لقد فتح الباب

الحديدي للصندوق... وفي داخله، شيء يللمع. صرخت بشوق: «اه، انه المفتاح المناسب.» نسيت وجوده على الفور.

«كم هو أمر غريب! هناك قارب صغير في داخله.»

تمتم ليسنزو: «أمر مهم، قارب مزيف.»

«ماذا تعني قارب مزيف؟» بعناية قصوى رفعته من

الصندوق وجدت انه بالنسبة لحجمه ثقيل الوزن، حتى انها كادت توقعه ارضاً، اسرع ليسنزو بوضع يده تحت يديها لحمله.

اخذ القارب منها وتفحصه جيداً، قال بكبرياء واضح: «كان هناك العديد من هذه القوارب في الاسواق عام ١٩٥٠. ولقد بيعت الى الاثرياء كالكعك الطازج. ولقد صنعوا من الرصاص المدهون.»

قالت بغضب: «انه يبدو حقيقياً جداً لي.»

قال بسخرية: «من المحتمل ان يبدو حقيقياً لملايين من الناس ايضاً. الا تدركين ان الذهب لا يتغير ابدأ. ولا يفقد لعمانه، حتى لو دفن تحت البحار لسنين، او تحت الارض؟ انظري، هناك بعض الالوان كالزهر والاخضر هنا.» اخذ بشهر بأصبعه الى مناطق مختلفة تغيرت الوانها.

قالت: «مزيف. أمر مؤسف.» واخذت تلمس بيدها الدهان القوي عليه. «هل هو غالي الثمن؟»

هز كتفيه باستخفاف: «قد تهتم به الناس لقيمته المعنوية.»

انحنت لتفحص القارب الرائع الصنع: «انه مصنوع بشكل جميل جداً.»

هرم شفثيه بسخرية: «صانع ماهر.» اعاد القارب بعناية الى ركن صغير في صندوق الامانات.

رفعت عينها اليه: «و...والدي؟»
 «هل كان ماهراً بصناعة الاشياء الدقيقة؟»
 ضحكت بقسوة: «لا، اطلاقاً.»

«اذن ليس هناك ما قيمة له في كل ما يحدث.» اقترب اكثر ليغلق الصندوق لكنها امسكت ذراعه.

«لا تفعل هذا، مازلت ارى شيئاً آخر.» مدت ميرديث يديها في عمق الصندوق وامسكت بقناع فينيسي، له حجم الوجه. شرائطه الحريريّة اصبحت بالية، لكنه مما لاشك فيه كان قناعاً جميلاً خصوصاً باللؤلؤ المتدلي على اطراف الوجه. قالت، وهي تضعه بعناية بجانب القارب: «ما هذه الاشياء الغريبة لتوضع في صندوق امانات!»

قال موافقاً: «معك حق، حسناً، أقترح ان نعيد هذه الاشياء ونغلق الصندوق. فمن الواضح انهما لايعنيان شيئاً لك، لذلك يبدو الامر اكثر بأكثر انه مجرد خطأ كبير. ربما والدك حصل بطريقة خاطئة على المفتاح.»

اقترب منها اكثر ليغلق الصندوق، اضطربت من الاحساس بقربه، لكن مازالت ترى اشياء اخرى، شيء ابيض، يشبه المغلف. فشعرت بأمل جديد.

قالت بحدة: «ابتعد عن الصندوق.» حبست انفاسها، وهي تتساءل ان كان سيرفض. وللحظة طويلة التقت عيناهما وكانهما في معركة.

قال بصوت ناعم خلف اذنها مباشرة: «هذه الصناديق قد اعدت لحقائب ملئ بالذهب في القرون الوسطى. ولأشخاص لديهم ايادي اطول من يديك. دعيني احضره لك.»
 قالت: «لقد...حصلت...عليه تقريباً.»

همس قائلاً بعدما لمست يده عن طريق الخطأ: «اجل، لقد حصلت عليه، وعليّ ايضاً.»

صرخت: «لا، ليسنزو سيلفاتي، انك تتصرف بطريقة غير مشرفة. اتركني وشأني.»

نظر اليها بغرابة وقال: «ميرديث، اخرجي من هنا بسرعة! اهربي قبل...»

صرخت قائلة: «انا لا اهرب ابدأ من احد.»

ضاقت عيناه فجأة وهدق بالصندوق المفتوح وراءها، شعرت ميرديث بالضيق على الفور، علمت ان كل كلامه المعسول كان يحاول به التظاهر لكي تهرب من المستودع ولا تتعرف حقاً على اسراره.

صرخت: «ايها الشرير، كنت تحاول ان تبعد انتباهي عما هي داخل الصندوق! ايها المغرور الشرير!»

وبسرعة كالبرق، ادخلت يديها داخل الصندوق لترفع مغلف من الورق رآته هناك. وبصمت فتحته بسرعة. غاب اللون من وجهها. اخيراً علمت ماالذي كان مخفياً عنها سابقاً. وكادت ان تتمنى لو انها حقاً هربت من كل ذلك.

الفصل الخامس

قال ليسنزو بضيق: «لا تحملي نفسك اكثر من قدرتك.»
كان يبدو عليه التوتر مثلها تماماً، فاعصابه مشدودة
كالأسلاك. مصدومة جداً، لاقدرة لها على الكلام من شدة
الغضب، مدت بيدها المرتجفة المغلف اليه، وبتعابير قريبة
من الشفقة امسك به. ساد صمت طويل وهو يقرأ. رفع رأسه
بعد ان عمل على اخفاء كل انفعالاته.

بدأ بالقول: «ميرديث...»

قالت بصوت اجش: «لا تتكلم معي!» وبقوة ضربت يده،
لتسقط الاوراق التي تعلن عن تغير اسم ابوها. همست: «والذي
كان ايطالياً.»

صحح لها بحزن: «بل فينيسي.»

شعرت بغضب مجنون: «ومالفرق؟»

قال بنعومة: «بالنسبة لشخص من فينيسيا، هناك فرق

كبير.»

قالت بمرارة: «انت تتلاعب بالاسماء، ولقد اكتشفت للتو ان
اسم والدي كان انطونيو كورزيني! كورزيني!» بدأ الكلام
يضج في رأسها، قالت بضعف: «الابتزاز، اه، لااستطيع تحمل
ذلك!»

«ليس لديك اي خيار. لقد جلبت هذا لنفسك.»

غطت وجهها بيديها، بعد سمعها لملاحظته الخالية من اي
احساس بالرأفة، فلقد اردت ابعاد عينيها عن نظراته الحاقدة.

ترقرقت الدموع في عينيها، ولم تقم بشيء لمنعهم من
التساقط على خديها عبر اصابعها. لوالدها ماضي عمل
كثيراً كي يخفيه. ربما ماض سيء... والا لما قام على
التهرب منه؟ فكرت بياس، كما انه كذب عليها. لقد كذبوا
جميعاً عليها.

قالت وهي تتنهد: «حياتي كلها... بنيت على كذبة.» لا عجب
انها لم تشاهد له يوماً صوراً عن ماضيه. لا عجب انه كان
يتهرب دوماً عندما كانت تسأله اي سؤال عن طفولته. قالت
بصوت يرتجف من العاطفة: «كيف يمكنه ان يفعل كل ذلك
بي؟»

قال بخشونة: «ربما اراد ان يحميك.»

سالت: «مما؟» وسالت دموعها بغزارة: «ماذا ايضاً لم

يشهروني به؟»

بكت بمرارة في ذلك المستودع البارد. لم يحاول ليسنزو
ان يخفف عنها. كان وكأنه قد تحول الى لوح من الثلج. سيطر
عابها حزن قوي، فجلست على الارض تبكي وضعتها اليأس
بينما وقف ليسنزو يراقبها بدون اي تأثر. كان بارداً
كالحجر الذي تجلس عليه. هذا ما فكرت به بحزن. فأني رجل
عادي كان سيحاول التهدئة والتخفيف عن كل من يمر
بوضعها.

فجأة، وبدون سابق انذار تحول حزنها الى غضب صارم،
فعدم اهتمام ليسنزو جعلها تصرخ: «والدي! كنت تعرف كل
ذلك الوقت، اليس كذلك، انه كان من فينيسيا؟»

«نعم.»

كان جوابه القاسي كحمام من الماء المتلج. «كيف يمكنك

ان تكون بكل هذه القسوة؟ كان عليك ان تخبرني بالحقيقة. لدي الحق في ان اعرف، الحق بمعرفة الحقيقة!»

في ثورة غضبها، نهضت واخذت تضرب بقوة صدره. كانت الدموع الحارة تتساقط على وجهها. بعد فترة ادركت انها كانت تضربه بقوة كافية لتسبب له الألم ومع ذلك لم يرفع يده ليمنعها. شعرت بالخجل من فقدانها السيطرة على نفسها تماماً، مررت يدها فوق عينيها ونظرت اليه.

قال بصوت اجش: «استمري. اضربييني ان كنت تشعرين بالحاجة لذلك. لا تهتمي لما اشعر به.»

صرخت: «اه! ايها المتوحش! انك تسخر مني. انت عديم الاحساس والشعور! كيف يمكنك ان تبقى بارد الاعصاب بينما حياتي تتمزق امام عيني؟ كان بإمكانك ان تحضرنني لهذه....»

قاطعها قائلاً: «لا، قد أكون شككت بالامر، لكن فقط حاملي مفتاح الامانات يعلمون ما في داخل صناديقهم.»

قالت ميرديث: «كورزيني لا يعلم ايضاً؟» هز رأسه نافياً. «لكنك كنت تدرك انه وابي على علاقة ما، أليس كذلك؟»

«نعم.»

ارتجفت ميرديث من اعترافه، وظهر ألم قوي على وجهها. قالت ببطء: «الان فهمت! هذا ما كانت تحاول غران اخباري اياه، جدتي الغالية. لاجب انها اصيبت بالرعب! كانت تريد اخباري عن ابي.» تأوهت بحزن واحنت رأسها. لا بد ان الامر كان مخيفاً لها، ان تشرح العلاقة بينه وبين بلاده الاصلية.

قال ليسنزو بلهجة قاسية كالفولاذ: «ميرديث، لا ترفضني ما يحدث. قد يغير ذلك كل حياتك.»

رفعت رأسها بغضب وبسرعة قصوى جعلت شعرها الاحمر يتطاير على كتفيها. بحثت عيناها بقلق عن اي عاطفة في وجه ليسنزو. ولم تجد اي اثر لذلك. «لقد غيرت حياتي بالفعل! فانا لم اعد ذات الفتاة التي حضرت الى هنا. اولاً، انا الان نصف ايطالية. وانتمي الى عائلة لا اعرف شيئاً عنها كما وانني لم اعد اشعر بالامان والثقة.» تابعت وهي تسال بضيق: «ماذا تريد ان تخبرني؟ هل هناك جماجم في طرانتني؟ هل هناك في عائلة كورزيني ما يخجل به؟»

صرخ بقسوة: «لا!»

«حسناً، هناك شيء ما يثير عاطفتك.»

لمع وجهه بنور غريب من الغضب، لكنه تمتم: «اعتبري ان شيئاً لم يحدث. احتفظي بالذكريات الجميلة.»

صرخت بحرارة: «لا، لقد تبعثرت الان. الاترى ذلك؟ اية فكرة في التراجع الان اصبحت مستحيلة. ساعدني! هذا اهم شيء حدث معي طوال عمري...»

قال بسرعة: «اه، طبعاً، فكري في المال الذي قد تحصلين عليه! انا متفكرين به الان، اليس كذلك؟» تابع بخشونة: «لقد اخذت جدتك الكثير من المال من كورزيني لمدة عشر سنوات. قد يكون عملها مثيراً للشك، لكن المال الان اصبح لك. يمكنك الاحتفاظ بكل هذه الاموال لتحقيق طموحك الصغير...»

قالت بغضب، وهي متفاجئة من قوة غضبها: «توقف عن ذلك!» تعلم ان لديها احساس قوي بالعاطفة، لكنها فجأة اذت تفكر بحياتها. لقد قيل لها ان هذا طبع اهل ويلاش. لكنها ايضاً ايطالية. من فينيس بالتحديد. نظرت بقوة الى ليسنزو. انهما من ذات البلد. الرغبة في معرفة كل شيء

ظهرت واضحة على وجهها، ببطء، وبقوة، وجدت شعاعاً من الامل في كل هذا الوضع الغريب، شيء ما يعوض كل هذا الأكم الكبير، اكتشاف ان لديها جذور كانت تجهلها.
ان لديها عائلة هنا، في فينيس! ابتسمت، متمنية، عبر دموعها المنهمرة.

قال ليسنزو بسخرية: «اه، ها قد عدت. تغير واضح للوصول، لقد عادت ابتسامتك! الى طبيعتك ميرديث! لن تحاولي جري في عملية خداع، لذلك وفري ماستقولينه.»
بقوة، حاولت استعادة صبرها. فهو يعرف الكثير عن عائلتها وهو مهم جداً لها. «ليسينزو، اعلم انك تدين بالولاء الكامل لموكلك، وأنا اكن لك شديد الاعجاب...»

«وفري علي كلامك المنمق.»

قالت بهدوء: «لا سبب لديك لتشك بي؟»

قال: «حقاً؟»

قالت برقة: «انني معتادة على التعامل مع أناس من ذات الطبقة الاجتماعية، وأنا لا افهم اولئك الطبقات الارستقراطية. لكنني اعلم ماالذي اريده. انت تريد الافضل والاحسن لزبونك. وأنا ايضاً. انه قريب لي.» ابتسمت بلطف وتابعت: «قريب حي.»

«انه يريد منك ان تدعيه بسلام.»

قالت بهدوء: «لكن ذلك لأنه لا يعرفني، كما وانه لايعرف مقاصدي.»

توتر ليسنزو، ولمعت عيناه بالخطر وكأنه ينذرهما: «وماهي مقاصدك؟»

«ان اجمع العائلة ثانية. يجب ان لاتعيش العائلات

منفصلة.» رأت غضبه يزداد فأسرعت في توضيح كلامها: «اسمع، انا لاهتم مطلقاً للمال، لقد اخبرتك بذلك من قبل. سأعيد كل فلس. هل تفهم، لقد وجدت شيئاً أكثر قيمة بكثير.»

لمعت عيناه باتجاه القارب، سأل بخشونة: «مثل ماذا؟»
ضمت يديها الى بعضهما بفرح، كل مافيهما يدل على سعادتها، اجابت بلطف، وضحكتها الدافئة تنير وجهها كله: «كل ما اردت معرفته دائماً.» نظر اليها ليسنزو غير مقتنع بما تقوله فتابعت: «الا تفهم؟ لقد أصبح حلمي أمراً واقعياً.»

قال بسخرية: «لا استطيع المراهنه على ذلك.»

تنهدت: «اتمنى ان لا اصبح ساخرة مثلك. انا لاشعر بالخجل، انني متأثرة لاكتشافي بوجود اقارب لي. هذا ماكنت اريده دائماً. كل لحظة في كل ايامي. كنت اشتاق للحب والامان الذي كنت اعيشهما سابقاً.» تابعت بعاطفة: «هناك اناس خارجاً قد يعلمون او لا يعلمون بوجودي، أناس استطيع ان اقول انهم...»

قال بنعومة: «او أناس سترغبين لو انك لم تقابلهم يوماً.»
غاب الفرح الذي كان يغمرها بكلامه: «ماذا تحاول ان اقول لي؟»

نظر اليها بحدة، ومرت لحظة او اكثر قبل ان يتكلم: «لما اعتقدين قد تركهم والدك قبل كل شيء؟»

«انا... انا لا اعرف!» ملاحظته جعلتها تفكر بوضوح اكثر.
قالت غاضبة: «ربما كان هناك شجار ما، يمكنك ان تظهرني.»

قال بهدوء: «ميرديث، لقد أمر والدك ان تحرق كل ما يملكه. كل شيء يدل على هويته الحقيقية. الا يخبرك ذلك شيئاً؟»
تمتت بدون ارادة منها: «نعم. لا بد من وجود شجار كبير.» لكنها لا تريد ان تقسد فكرة ارتباطها بعائلتها من جديد. ليسنزو يفعل المستحيل لذلك، وهي منزعة جداً من تدخله.

قال بخشونة: «او انه لا يريد ان يواجه ظروفاً معينة.»
اتسعت عيناها على الفور: «هل تعتقد انه كان هارباً؟»
هز رأسه، برم شفثيه باستخفاف وقال: «انه هارب من شيء ما، ليس هذا معقولاً؟»

«لا والدي كان محبباً. اريد ان اكون جزءاً من هذه العائلة. سأعمل على ايجادهم. ولا اي شيء ستقوله سيردعني. ان الشجار الذي حدث هو من الماضي، وانا سأعمل على شفاء كل الجروح. استطيع ان انقل الجبال.» انهت كلامها وهي ترفع رأسها بعناد وتصميم قوي.

وضع اصبعه على نقنها المرفوع وقال: «ميرديث، انت فتاة مليئة بالمفاجآت.» نظر اليها بمكر واضح وتابع: «لكن لا يمكنك العمل ضد ارادة والدك. فهو لم يرد ابدأ ان تقابلي احداً من اقاربك هنا.»

رفعت وجهها الشاحب اليه، تلعثت قائلة: «اشعر وكأنني فتحت صندوق بانديورا.»

قال بخشونة: «انه تشبيه مناسب، لقد فتحت صندوقاً من المشاكل لنفسك.»

تابعت عنه: «والأمل ايضاً.» متذكرة ما الذي سمعته عن تلك القصة.

«انك مصممة بقوة لرؤية الجانب الايجابي! لقد كان والدك في مشكلة حقيقية. لماذا اذن أنكرك مكان ولادته؟ لا احد لديه عقل كاف يترك هذه المدينة الا اذا كان مجبراً.»
اتكأت الى الجدار، منهارة العزائم، ثم قالت بصوت مخنوق: «أتعني جريمة؟ اه، سرقة القوارب الصغيرة! كان متورطاً...»

قاطعها قائلاً: «من يعلم؟»

تضاربت الافكار، والعواطف في رأسها، هل هذا ما يعرفه ليسنزو كحقيقة، ام انه يحاول ان يحبط عزائمها... تطبيقاً لمصلحة زبونته؟ بدت خيبة الامل واضحة على وجهها.

قالت بياس: «اريد ان اصبح جزء من العائلة مجدداً، اري لمسي اجلس الى طاولة كبيرة للعشاء محاطة بأجيال عدة...
تماماً كالافلام الايطالية التي اشاهدها.»
تمتم قائلاً: «تقصدين فيلم العراب؟»

اغمضت عينيها وتمسكت بالحائط محتاجة للمساعدة، باحثة في عينيه لترى ان كان هناك تهديد واضح. لكنه يمسك بكل المفاتيح للصناديق التي تريد فتحها، ومهما كانت تشك به، ومهما تكن حذرة منه، فعليها ان تقنعه ان يساعدها.

قالت بحزن، وقد قررت اقناعه: «ليسنزو، انت تحب هائلتك، اليس كذلك؟ عائلتك من لحمك ودمك؟»

عض باسنانه البيضاء على شفثه بقوة، وبدأ وكأنه يفكر جيداً قبل ان يقول: «ليس لدي عائلة، لقد ترعرعت مع عائلتي الجديدة.»

نظرت اليه بصمت متعجبة وقد احمرت خجلاً من الاحراج، متذكرة ما الذي قالته عن حضانة الاطفال. قالت بصوت

اجش: «اه، اني آسفة، اعذرني... انه موضوع حساس. كنت عديمة التفكير عما قلته سابقاً. لكنك تشعر بالحب والاهتمام لعائلتك هذه، اليس كذلك؟»

بدا عليه الشرود وكأنه يفكر بهم: «نعم، لقد قلت انه بإمكانك ان تنقلي الجبال. اما انا فقد بنيت جبلاً، للمرأة التي ربنتي واعترتني ابناً.»

لم يكن هناك مجال للشك من صدق عاطفته نحو عائلته. شعرت بالراحة قليلاً. قالت: «ليسنزو، اتوسل اليك، ارجوك تكلم مع كورزيني. انه أحد اقاربي. وانت حائز على ثقته، اليس كذلك؟ اقنعه ان يراني. آخر ما اريده ان اسبب الازعاج له او للعائلة... انا لا اتحمل رؤية الاذى لأحد، يمكنك ان تقول له ذلك.»

تمتم: «هل تستطيع؟ هل انت حقاً غير مؤذية؟» نظر اليها بحزن: «يبدو لي انك اشد خطورة من غابة مليئة بالحيوانات المفترسة.»

امسكت بذراعه بسرعة: «هذا كلام سخيّف.» تابعت وقد فقدت صبرها: «لقاء فقط. انا لا اطلب المزيد. لا يمكنك ان تنكر عليّ ذلك.»

قال بتشنج: «لا يمكنني خيانة ال كورزيني، المطلوب مني ان ابعدهم عنهم.»

قالت بمحبة: «اذا كان تصرفك هذا عائد لولائك وتلبية لطلب عائلتي، فانني اعذرك.»

ضحك متعجباً، وقال بالرغم عنه: «ارجوك، ميرديث، لا تستطيع ان اتحمل المزيد من طبيعتك الجيدة. انت تسيطرين عليّ بسبب مبادئك العالية.»

ابتسمت: «اذن، لا بد ان لها مكافأة خاصة بها.» قال ببطء: «يبدو ذلك.» وبدأ التوتر والقلق يبتعدان عنه بالتدريج.

قالت، وهي تنظر بعينيها الزرقاوين بفرح اليه: «اعلم ان الامور ستسير على مايرام. هل ستساعدني؟»

نظر اليها للحظات معدودة: «هل يعني ذلك الكثير لك؟» فأومات برأسها. رفع كتفيه ليزفر بقوة.

تمتم: «كيف يمكنني ان أقاوم الاخلاص؟» هذا ما افرحها، لكنه كان يتذمر. لمعت عيناها كلمعان الماء تحت اشعة الشمس قال: «يا للمصيبة، سأفكر بالامر.»

«رائع! اه، لن تندم على ذلك...»

قال بخشونة: «اعتقد انني سأندم.»

قالت بسعادة عارمة: «لا، انت وكورزيني ستكونان سعيدان. اعدك بذلك، شكراً لك، شكراً لك!»

قال والضيق واضح عليه: «لقد قلت فقط انني سأفكر بذلك، ميرديث، براءتك ستؤثر على الشر بذاته.»

ضحكت بفرح، فهي سعيدة جداً لتهم بأي شيء آخر غير ان رحلتها قد جلبت لها مفاجأة لا تحلم بها. مهما كانت الصعوبات التي تعانيتها، سيصبح كل ذلك جزء من الماضي. كانت تعلم انه سيفعل ذلك في نهاية الامر.

قالت وهي تبتسم: «حسناً، هذا فيما يخصك، ماذا عن كورزيني؟»

قال وقد نظر الى البعيد: «يمكنك ان تؤثري عليه ايضاً.» قالت بفرح: «اكاد ان اضحك!»

تمتم قائلاً: «لا اعتقد ان ذلك سيكون تصرفاً حكيماً. اعتقد

انني بحاجة الى عدة فناجين من القهوة المرة. سنذهب الى البيزا، احضري القارب والقناع هيا.»
 ابتسمت: «اه، نعم، واخيراً أصبح لدي شيء من والدي. هل يمكنك ان تحضري لي حقيبة؟ هذا القناع سيقع من يدي.» ما ان رفعته قليلاً، حتى سقط منه على الارض اوراقاً ذهبية، ولدهشتها، رأيت ليسنزو يلتقط الورقة بدقة متناهية.
 رأى نظرتها فهز كتفيه وقال: «عادة، احب النظافة بشكل كبير.»

بالكاد سمعته، فقد كان فكرها منشغلاً بأمرها الخاصة. ليسنزو هو الرابط الوحيد بينها وبين عائلة والدها... تلك التي اسمها، بالطبع، كورزيني. ميرديث كورزيني. ابتسمت وهي تفكر. كيف هم؟ وما الذي يفعلونه؟ وتساءلت بقلق، هل ان والدها الشريف قد قام بعمل سيء؟

بدلاً من ان تحل مشكلة، لقد اكتشفت مشاكل اخرى. لكنها تريد بقوة ان ترى عائلتها وان تقنعهم بأن ينسوا الاحداث التي قسمت العائلة، عليها ان تقنع ليسنزو ليعطيها عنواناً لهم. بسعادة كبيرة، سارت مع ليسنزو عبر الحشد الكبير، الموسيقى تملأ شوارع فينيس، اصيحت تشعر بالأكفة مع الوجوه المرحية والاماكن والمباني. لقد اصيحت الان جزء من ميراثها، وهي تنظر اليهم بعينين مليئتين بالفرح.

وصلت الى ضفة القناة، تعلقت عيناها على الفور بمنظر اربعة اشخاص يرتدون شعور مستعارة وينتظرون القارب. كانوا يتحدثون وهم يحملون مظلات ملونة.

همست باعجاب: «ليسنزو! لم ار في حياتي ثياباً مثل هذه! كيف يمكنهم ان يحتفظوا بها هكذا؟ انه اعجوبة.»

«انه ليس كرنفالاً عادياً، ميرديث، انه ببساطة افضل كرنفال في العالم تمضي الناس ستة اشهر لتصنع الثياب. هذه جيدة، لكنك ستشاهدين افضل منها في بيزا.»
 قالت بشوق، وهي تنظر الى شخص يرتدي كاهرلكان يقرب منهم. «انا اصنع الثياب بنفسى.» ضحك مثل هارلكان من دهشتها، فضحكت له بسعادة.
 قال ليسنزو غاضباً: «قلت لي انك كنت تعملين في دور حضانة.»

«بالطبع، كانت دار الحضانة في مصنع. ولقد ساعدني اهل الاطفال في تصميم عدد كبير من الازياء لأجمع المال المتقاعددين في حفلة العيد الكبير.»
 تتمم بخشونة: «كان علي ان احزر، هل هناك اعمال خير اضافية قمت بها وتودين ذكرها؟»

«لقد نظمت مهرجاناً من اجل اوكس فام لمساعدة دور العجزة.» قالت ذلك وهي تفكر بهم بحب.
 رفع حاجبيه، فادركت ان ليسنزو كان ينظر اليها باهتمام: «لقد اثرت بي. لا بد انك ماهرة في ذلك.»

قالت بدون اي غرور او خجل: «انني عملية جداً. اقوم باعمال كثيرة بينما لا يزال الآخرون يتحدثون عنها.» ضحكت قبل ان تتابع: «لقد اقامت وليمة لمئة رجل! ولقد استثمرت في الطهو لأسبوع كامل لكن كان الامر يستحق الذعب.» نظرت اليه وابتسمت: «يبدو وكأنك تقدم لي عملاً ما.»

تجهم وجهه وادار محرك القارب بعصبية ظاهرة مما جعلها تصطدم به وتكاد تقع على الارض.

قال بحدة: «اسف، هل تأذيت؟»

ابتسمت، فهي سعيدة جداً، «لابأس، اعذر تصرفي، انني اشعر بسعادة كبيرة واود ان اقفز وأرقص. انني سعيدة جداً، عندما اقابل العائلة ويصبح لدينا فرصة لنعرف بعضنا البعض. لن نجدوا سبباً للاستمرار بهذا الخصام.»
ضحك بسخرية: «تبدين الامر وكأنه بسيط جداً.»

«انه كذلك، اعدك بذلك.»

ابتسامتها المشعة جعلت القناع البارد على وجهه يذوب، نظر اليها، فابعدت عينيها عنه لتخفي اضطرابها.
كانت الرحلة عبر القناة الكبرى رائعة لها. كان الثلج ينهمر بغزارة يضيف على المكان الساحر جمالاً لا يوصف بينما كان القارب يسير من ضفة الى ضفة، كانت سعيدة انه كان يتوقف في كل محطة. كانت تضغط بأنفها على زجاج النافذة في القارب كي ترى كل قصر جميل، منتظرة ان يخرج منه شخص ما او رجل ذو مركز مسؤول.

كل مكان كانت تنظر اليه تتفاجأ بزي الناس، بعضهم يخفي وجهه تحت قناع ثعلب، او قناع موزات، ونساء ترتدين فساتين ذات تنانير واسعة.

تهتدت بعمق: «كيف استطاع والدي ان يغادر هذا المكان؟ انه كالحلم.»

تضاربت العواطف على وجهه ليسنزو، اخيراً ابعد عينيها عنها لينظر الى المناظر امامه. قال: «انظري، سانتا ماريا، سننزل عنده.»

تابع بحنان وكأنه شعر بالسعادة من اهتمامها بجمال البناء. «بما انك لم تشاهدي شيئاً بعد كسائحة، سأخذك الى

بالازو دو كال... وقصر دو غاز في ببيزا سان ماركو. كان الحشد كبيراً. شعرت ميرديث بالسعادة بقربه. فلقد كانت تمر الناس بينهم تتدافع وهي تضحك وتتسامر. لفت انتباهها شخصان يرتديان قناعان وقبعتان يغطيان كامل وجهيهما بينما كان الاول يحمل وردة والثاني مرآة.

قالت: «من هما هذان الشخصان؟ ممثلان؟»

نظر الى وجهها وهز كتفيه: «لست ادري، هذا هو اهمية التكر. محامون، امراء، لصوص، من يدري؟ يعطي الكرنفال فرصة للفقراء ليختلطوا بالاغنياء. اذا لم يتحدثوا ابداً، قد يتمكنوا من الذهاب الى اي مكان يريدونه.»

قالت وهي تضحك: «كم هو أمر شيق.»

«بالطبع في اوقات الكرنفال لاشيء يبدو كما هو في الحقيقة.»

قالت بحزن: «في فينيس، في اي وقت، لاشيء يبدو كما هو في الحقيقة.»

قال باهتمام: «لقد اصبحت الفتاة البريئة حذرة وناقدة لا تتغيري، ميرديث. هناك الكثير من المتشائمين في هذا العالم فلا داع للانضمام اليهم. يجب ان نتكلم، ستكون المقاهي العادية مليئة بالناس. لما لا نسرع بالذهاب الى فلوريان؟ يمكننا ان ارتدي اقنعة. ولا احد سيتمكن من معرفتنا.»

قالت: «انا اعرف عمال المقاهي. يمكنهم التعرف على المتزيفين على بعد أميال. سينظرون نظرة واحدة الى ثيابي ويعلمون انني فقيرة جداً.»

قال مقترحاً: «سأشتري لك قناعاً غالياً وبذلك نثير ارتباكهم.» بينما كان ليسنزو ينظر الى عربة مليئة بالحاجات،

اخرجت ميرديث بلطف قناع والدها الذهبي من الورقة التي لفها ليسنزو به. ورفعته الى وجهها، وجدت أنه مغلف من الداخل بقماش من الحرير الفاخر. وانه يغطي كل وجهها، مخفياً كل معالمها وواسع جداً على نقتها.

كانت تحاول ان تربط شرائط المخمل خلف رأسها عندما امسك ليسنزو بيدها بقوة. قال بسرعة: «انزعيه على الفور!» قالت معترضة: «لماذا! اشعر وكأنني مختلفة. اه! ليسنزو انك تكسر عظامي!»

قال بحدة: «اذا ارتدتيه، ستدمرين اخر الاشياء القليلة التي يملكها والدك. انه دقيق الصنع. اعيديه الى مكانه. ارتدي هذا.» بقي يشد على يدها حتى نزعت الشرائط. اخذ القناع واستبدله بقناع من اللون الازرق اختاره بنفسه.

قالت بامتنان: «انك على حق. شكراً. يمكنك ان تكون مفيداً احياناً.» وهي متعجبة من شدة انفعاله.

قال وهو يضع القناع لها بصوت حنون: «جميلة، رائعة.» ارتجفت عيناها، ثم ضحكت، مدركة ما الذي يعنيه: «شكراً، لحظة ما اغطي وجهي، اصبح جميلة؟»

وضع على وجهه قناعاً اسود من المخمل، فقط شعره الذهبي وعيناها المشعتان تقضحان شخصيته. تمت: «لا. انت جميلة مهما فعلت لنفسك.» لم تكن ترى تعابير وجهه، فلم تشعر بالرضى.

قالت وهي تتنهد: «انك تجاملني، تشبه كثيراً كازانوف.» قال، وهو يشير لها بيده: «انه مسكين، لقد سجن هناك، تحت هذا السقف النحاسي.» اقتربت منه اكثر لتشاهد قصر دوغاز الابيض والزهري اللون.

قالت مبتسمة: «اراهن انه تنهد برحلته الاخيرة من المحكمة الى السجن، فوق جسر التنهدات.» قال منتقداً: «كان لديه معرفة تامة بطبع النساء. وكان يحبهن كثيراً. ولا شيء اصعب من ذلك.»

قالت متعاطفة معه: «لقد سببت لك النساء الكثير من خيبات الامل، يوماً ما ستقابل امرأة تحب ان تشاركك حياتك. الزواج ليس بالسجن...»

قال بهدوء: «انه كذلك بالنسبة لي. فهناك الكثير من الاعمال علي القيام بها، وليس لدي الا ساعات قليلة من النهار امضيها مع زوجتي. المرأة التي ساتزوجها تحتاج لكثير من الاخلاق العالية لتتمكن من العيش بسعادة مع حياتي المتطلبة. فهي تحتاج الى الحكمة، وحب التضحية، والمساعدة، وحب كل انواع واصناف الناس في الحياة...» «هل لديك عمل اضافي لا اعرفه؟» ضحكت وهي تتابع: «هل انت امير فينيس، مثلاً؟»

قال مقاطعاً: «تعالى، احتاج كثيراً لفنجان قهوة.»

ذهلت ميرديث بالكلام المختصر عن حياته، واران ان تساله لماذا عليه الزواج من امرأة مميزة. بعدها تذكرت كيف كان يبدو عندما تكلم عن اشرف فنيس.

«ليسنزو...» امسك بيدها عبر الحشد الكبير ماشياً أمامها ليهدهد الناس عن طريقه.

اخذت تفكر كم يرهق نفسه من اجل مصلحة عائلته التي حضنته. ربما يشعر انه مدين لهم باشياء كثيرة. المركز الاجتماعي المهم مثلاً... مهما يكن، تنهدت، وربما هم سعداء جداً لمجرد وجوده معهم.

اعلن ليسنزو: « هذه هي بيازا سان ماركو، رافعاً صوته ليطلق على اصوات الاجراس والموسيقى. رأت الوان مختلفة تتدفق من كل جانب، فضحكت ميرديث، فقال بعدما اقترب منها. « قال نابوليون ان هذه اجمل قاعة في اوروبا كلها. »

قالت وهي تضحك: « لقد نسي البناؤون السطح. »

ابتسم، وهو يعلم لما تتعمد الضحك، استدار نحوها، وقال بنعومة: « نعم، فينس، انت، وانا، حب العظمة عند البشر، حب تحقيق الذات. اليس هذا يؤثر فيك او يسعدك؟ »

نظرت الى الساحة الواسعة، المليئة بمختلف الانواع من البشر، ومزينة بكل الالوان والاشكال. وطبقات البيزا العالية بنعومة وكأنها كعكة العرس. وحولها الناس ترقص وتضحك وبجانبها ليسنزو يحيطها بعناية وكأنه يهتم بسلامتها.

قالت: « لا استطيع الكلام. »

« امر مؤسف. احب كثيراً ماتنفوهين به. »

نظرت اليه بدهشة ورأت انه يعني مايقوله. ابتسمت بفرح، تحت القناع السميك، لقد اصبح ليسنزو اكثر رقة ساعة بعد ساعة، فالوقت الذي تمضيه معه يساعده على نسيان حقدته الكبير الذي يغلف وجهه بشكل دائم. كانت تريد ان تقول له ان الحياة تصبح رائعة بلا كره او حقد. لكنها عوضاً عن ذلك قالت ببطء: « اشعر بالفخر لأن والدي من هذه المدينة، وانا احسدك على العيش في هذا المحيط الرائع. »

« لقد كانت مناسبة جداً لماركو بولو. فهي اذاً مناسبة لي. »
وضحك. وفكرت بسعادة، انه حقاً سعيد برفقتها.

احست بالسعادة انها بقربه، فسألته: « هل تتضايق من وجود السواح؟ »

« ماذا نفعل بدونهم؟ اشهر الرسامين، والموسيقيين والكتاب اختاروا العيش والعمل في فينيس عوضاً عن اية مدينة في العالم. يأتي السواح من كل انحاء العالم ليشاهدوا عظمة شعب التيتان، لسماع فيفالدي، ليروا اين كان يعيش لورد بايرون... »

تابعت عنه ميرديث: « وليروا منزل همنغواي. »

ضحك ليسنزو: « وهذا ايضاً. »

قالت: « اريد ان ابقى، هناك الكثير لاكتشفه. »

قال بلهجة محذرة: « لكنك قد تتأذين بسهولة. »

قالت بحزم: « اذا حاول احدهم، سيكتشف على الفور انني املك قدرة قوية للدفاع عن النفس. انا لست جبانة، ولا اخاف اهدأ من مواجهة المشاكل. انني اعتمد جداً على نفسي ليسنزو، لذلك لا تنسى لا انت ولا كورزيني، ذلك. »

نظر اليها بقوة، وقال: « لن افعل. »

احست ميرديث ان ابتسامته قد دخلت قلبها، شعرت بالامتنان ان قناعها يخفي عواطفها.

اخذت تنظر باهتمام الى كل مايجري حولها. اصوات الضحك، والثرثرات، وعدد كبير من الناس يغني. رأت الناس ترقص في كل الامكنة، بعضهم يرتدي ازياء مختلفة والبعض الآخر يرتدي ثياباً سميقة ليتدفأ في هذا الطقس البارد.

سارت ميرديث بجانب ليسنزو، بدون كلام، وهي ترى بائع الكستناء حيث السنة النار ورائحة الكستناء ترتفع في

الأجواء، الفوضى الرائعة، الناس السعيدة تمر تحت الجسر المؤدي الى بروكريت نيوف.

قال ليسنزو بفرح: «هذه هي البيزا الحقيقية، مليئة بالناس في فترة الكرنفال. احب فينيس في هذا الوقت. انظري، هناك.»

رأت ستة اشخاص يرتدون ثياباً لماعة، ويضعون على وجوههم اقنعة سميكة وكأنهم ينتمون الى كواكب اخرى. كانوا يرفعون ايديهم بطريقة جعلت الانوار تعكس على الجواهر في ثيابهم وكأنها في متجر خاص.

قالت: «لا أفهم لماذا يرتدون أشكال غريبة، هل هم هكذا في حياتهم العادية، ام ماذا؟»

هز ليسنزو رأسه: «انهم اشخاص لديهم احلام خاصة، رغبة في العيش كالحلم في فترة الكرنفال. يجب ان تجريبي ذلك. انه أمر ممتع الابتعاد عن الواقع لفترة.»

قالت بتجهم: «انا دائماً افعل ما اريد، ماذا عنك؟ هل تتظاهر بشخصية غير شخصيتك الحقيقية.» شعرت به يضطرب فنظرت الى وجهه، ناسية انه مقنع.

قال بنعومة، متجاهلاً السؤال: «لقد ارتديت ازياء غريبة في الكرنفال.»

قالت بسعادة: «عليك ان ترتدي ثياباً كنبلاء فينيس. ستبدو رائعاً بشعر مستعار وجاكيت مذهبة. انت تسير دائماً وكأنك مسؤول فخور بنفسه.»

تمتم قائلاً: «قد تكون المظاهر خادعة.»

رأت مجموعة من الناس تمر امامهما مرتدية ثياباً سوداء وحمراء، وتحني الجميع بفرح وسعادة. ضحكت وهي تبعد

بشعرها الى الورا، قالت: «اليس هذا رائعاً؟ كل المدينة تحتفل... وتعيش بحلم كأنها في القرن الثامن عشر!»

نظر اليها بفرح، وقال بصوت أجش: «يسعدني انك تتمتعين بما تشاهدينه.» تردد قليلاً قبل ان يتابع: «انني سعيد بالتاكيد. لنذهب الى فلورين لتتناول بعض الفطائر الشهية.»

رأت في الداخل، عدداً من الغرف الصغيرة مليئة بالارستقراطيين يرتدون الحرير ويضعون جواهر مزيفة. فتحت ميرديث فمها تحت القناع وهي تسير مع ليسنزو نحو المقعد، الذي اشار اليه الخادم باهتمام كبير.

همست قائلة: «يبدو انك مشهور، لم ينزعجوا ابداً من وجودي.»

قال بخشونة: «التصرف كالنبلاء امر طبيعي بالنسبة لشخص ولد في فينيس.» نزع قناعه، وعلى الفور وصلت القهوة لهما، ومعها صحن كبير مليء بالفطائر الشهية. تابع قائلاً: «فلورين مشهورة جداً. انهم يقدمون القهوة هنا منذ ثلاثمئة سنة.»

همست: «لا عجب ان يبدو تعب على العمال هنا.»

ابتسم ليسنزو وحمل بيده كعكة محلاة بالشوكولا.

تراجعت الى الورا، تضغط بنفسها على الكرسي المريح، اخذت تنظر اليه عبر المراة امامها، كان هناك شيء غريب جذاب فيه كيفما يتحدث وكيفما يتحرك.

قال مقترحاً: «اخبريني ماهي اغنيتك المفضلة. سنطلب من الاوركسترا خارجاً ان تعزفها.»

قالت مترددة: «احب الكثير من الاغاني! احب» الذكريات

اعتقد انك ستقول ان ذلك سخيف، لكنني عاطفية بشكل لا يصدق..»

«لا، على الاطلاق. لقد عرفت نساء يخترن اغنيات تقليدية ليؤثرن بي... ويجلسن في عذاب كبير من الممل خلال تلك الاغاني. يسعدني انك لا تحاولين ان تتصرفي بعكس طبيعتك..» قال ذلك وهو يشير الى احد الخدم الذي كان يتكىء على الباب متعباً، طلب ليسنزو منه الاغنية، وكان على وشك ان يضع في يده بعض المال عندما اوقفته. نظر اليها الرجلان مستفهمان.

قالت بنعومة الى ليسنزو: «انه متعب، سأذهب واطلب بنفسي الاغنية.»

سأل متعجباً: «وتحرمين الرجل من هذا المال؟»

«اه، حسناً، اعطه المال اذا كنت تريد، لكنني سأذهب مكانه.»

اضطرب ليسنزو، غطى فمه وادار رأسه بلطف. اتسعت عينا الخادم، ونظر الى ليسنزو متعجباً قال: «السنيرة لطيفة جداً لتفكر بتعبى. مهما يكن، يسعدني ان اقوم بهذه الخدمة... مجاناً، من كل قلبي.»

ابتسامة ميرديث الحارة جعلت الرجلين يتجاوبان معها بابتسامة مماثلة، بعدها غادر الخادم نحو فرقة الاوركسترا. قالت: «هل تعلم، انت لست بحاجة لدفع المال دائماً للناس. أنا لا افعل ذلك ابداً... لامال لدي للقيام بذلك. يسعدهم ان يخدموك اذا انت طلبت ذلك بلطف.»

قال، وهو يضحك: «لكنني، لاملك حسك المرهف نحو الجميع.»

وصلت الى مسامعها صوت الموسيقى الرائع، فجلست ميرديث براحة على الكرسي الواسع لتتمتع بما يحيط بها من جمال وروعة.

تمتم ليسنزو وهو يراقبها: «هل انت متأثرة بما حولك من عظمة؟»

«بالطبع! لم ار بحياتي شيئاً كهذا من قبل.» قالت وهي تحبس انفاسها: «انني اعيش قصة خيالية، لا بد انني سأصبح برنسس... اووه!» صرخت، اذ ان فنجان ليسنزو سقط من يده ووقعت القهوة على يدها.

قال متضايقاً: «اسف، قلة اهتمام مني. ماذا كنت تقولين؟» اخذ محرمة من جيبه المطرزة بأحرف اسمه واخذ ينشف يدها. اخذت المحرمة منه ونزعت القهوة عن يديها وعن الطاولة امامها ووضعها جانباً: «لقد نسيت، انني مشتتة. لا اعلم...»

قال مقاطعاً: «برنسس؟»

ابتسمت: «اه، نعم! لنفكر قليلاً، هذا أمر غير معقول. انني اشبه كثيراً سنديلا، اليس كذلك. امضي بعض الساعات في اماكن رائعة قبل ان تعود الى تنظيف الصحون؟»

قال بخشونة: «انا لست أمير الاحلام.»

«هذا صحيح. لو انك اقصر قليلاً، كنت اخطأت بينك وبين عهد فقير.» تحرك فمه قليلاً، فتابعت وعيناها تشعان بالنصر: «اه، اضحك وتخلي عن هذا المظهر.»

فجأة، انفجر ضاحكاً، وبدا وجهه سعيداً، قال وهو يقهقه: «ايتها الماكرة الصغيرة، كم هو أمر صعب ان ينظر اليك المرء كعدو.»

قالت بحرارة: « اتمنى ان لاتفعل. فأنا لست كذلك. لقد تخليت عن تحفظك تجاهي. مثل الثلج المتساقط على بيزا.»
سمعت بالخارج دقات الساعة معلنة تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً.

تنفست بعمق، ثم قالت ووجهها يشع بقوة: « اشعر... اشعر
وكأنني قد انتقلت الى عالم آخر.»
سألها بكسل: «هل يعجبك ذلك؟ يبدو انك سعيدة جداً بهذه
الاجواء.»

قالت بحماس: « انني اشعر بالسعادة في اي مكان.» رفعت
عينها اليه بثقة وحزن: « الامكنة ليست مهمة، فقط الناس.
انني اشعر بالسعادة حقاً عندما يكون بجانبني اشخاص
احبهم. حتى وبدون مساعدتك سأجد عائلتي.»
تابعت بصوت منخفض: « ولن يزعجني ابداً لو انني اجبرت
على البحث عن كل شخص من ال كورزيني في دليل الهاتف او
ان ادق على مئات الابواب.»

ساد صمت لعدة لحظات بينما حبست ميرديث انفاسها
متأملة. بدا على ليسنزو انه يقرر ماذا سيفعل بشأنها، علمت
بالتاكيد ان كل شيء ترغب به يتوقف على رأيه وموقفه.
قال على مهل: «نعم، ستفعلين ذلك. لا احد يستطيع ان يتهمك
بعدم الاصرار. انها تجربة مهمة. لكنك لست بحاجة للقيام
بكل هذه الاعمال.» تابع بجدية: « اعطني القليل من الوقت،
تحلي بالصبر، وثقي بي. سيأخذ الامر بعض الوقت، وهذا ما
اخشاه، لكنني سأفعل كل مافي استطاعتي لأقنع العائلة...
بأن عليهم مقابلتك.»

الفصل السادس

لم تعد ميرديث ترى كل ماحولها. فقط ترى وجهه الصارم
وعينييه الغامضتين. بعدها بدأت يداها ترتجفان وضعت
قطعة الكعك من يدها، مدركة ان وجهه مليء بالعواطف
القوية، على الرغم من الهدوء المصطنع في صوته. تثق به.
هل تستطيع؟

تنفست بعمق وقالت: « اذاً لقد قطعت الاحجية الاولى.»
ابتسم بحرارة، ووضع قناعه ثانية. «لاستطيع الاجابة
بعد.»

صرخت بقساوة: « ماذا علي ان افعل؟ ان ارفع يدي متوسلة
اليك؟»

رفع حاجبيه قليلاً: « وتدفعين كل الاشخاص في فلورين
الى الضحك؟ ميرديث... توقف عن الكلام ليضع يده في
شعره، ليتهرب من الاجابة، لكنه تابع: « ان الوضع في
الحقيقة معقد قليلاً...»

قالت غاضبة: « لا، انه ليس كذلك. انك تحاول منعي من
رؤية عائلتي.» استدارت لتحمل المنديل، وبدون ان تفكر
ناولته اياه وتابعت: «وقد اتخلى عن ذلك...»

اجاب ببرودة: « اذاً لن تكوني قوية كفاية لتصبحي من عائلة
كورزيني.»

«من يكونون، رجال عصابات؟»

«لقد كانوا كذلك في بعض الاحيان. هل نخرج لنرقص؟»

فكرت ميرديث بالرفض، لكنها رأت انه من الافضل الا تفعل. عليها ان تحافظ على هدوئها وترقص. ابتسمت، سترقص معه، لكن، فكرت بخوف، هو ايضاً، لسوء الحظ، لديه خطة ما، وعليها ان تصل الى ماتريده.

خرجت ميرديث الى الباحة لترقص معه، اخذت تتحدث وتضحك، تراقب الناس السعيدة والتي حولت المكان الى زمن من العصور الوسطى. ابتسمت في سرها، لا شيء يبدو على حقيقته هنا في الواقع.

«عذراً؟»

قالت ضاحكة: «اه، انه دانديني!»

قال ليسنزو: «انه يريد ان يراقصك، هيا، سندريلا.»

بفرح اخذت ترقص معه، وتنقل من راقص الى آخر، سعيدة بالرقص على الثلج، في باحة مزدانة بالاكوان المختلفة الساطعة.

قال ليسنزو بعاطفة صادقة، عندما عادت اليه بعد فترة طويلة: «لقد اعتقدت انني خسرتك.»

قالت بسخرية: «يا الحظي! امير الاحلام ثانية!» شعرت وكأنها عادت الى شخص خاص جداً لها. قالت وهي تشعر بالارتباك: «كدت حقاً ان تخسرنى. ذلك الرجل الاخير... الذي يضع شعر موزارت ولا يرتدي قناعاً... اراد ان يأخذني الى المطعم لكنني كدت أجن من كثرة وصفه للطعام الذي يقدمه.» اقترب ليسنزو منها، وقال بخشونة: «موزارت، انه مليونير عجوز ويملك افضل المطاعم في فينيس.»

«حقاً؟ لقد قلت له انه يشبه بانع الحليب في قريتي، فضحك كثيراً.»

«اتخيل ذلك. لاعجب انه اراد دعوتك. انت جيدة جداً في التعامل مع الناس، اليس كذلك؟ لقد راقبتك تحضرين بريق الشمس الى وجوه من كان يراقصك.»

سألت بقلق: «راقبتني؟» هذا أمر لم تفكر به او انها كانت حذرة في تصرفاتها. شعرت بالقلق انه كان يراقبها بالخفاء. لما يفعل ذلك؟ سألت، وهي ترفع وجهها الحزين اليه: «ليسنزو... انت لم تدعوني هنا للرقص فقط، اليس كذلك؟»

توقف عن الرقص وقال بجدية: «ميرديث... انا...» اسرعت دقات قلبها من ارتبائه. نزع قناعه، وببطء نزع قناعها ايضاً، وهي لاتزال تحديق بعينيه، محاولة ان تقرأ ماالذي يتردد بقوله.

قال صوت ناعم بقربهما: «سينزو! اهلاً!»

رفع حاجبيه بسخرية معتذراً من ميرديث، وابتسم بحرارة. «اهلاً كاترينا.» قبل ليسنزو كاترينا المندهشة بحرارة ثلاث قبلات على خديها. قال وهو يبتعد: «اعذريني اللحظة، ميرديث.»

بقيت بمفردها، تتأمل ثوب كاترينا الجميل تحت معطفها السميك. تبدو ثيابها غالية الثمن. سمعتها يتحدثان بالاطالية، فابتعدت عنهما. بعدها رأت انه قد اصبح محاطاً بالنساء وهن كلهن يرحبن به بمودة وعاطفة. مجموعة من الرجال يرتدون ثياباً حريرية انضمت للجمع، وهم يسلمون على كاترينا ويدعونها «بالكونتيسة.» شعرت ميرديث بالعميق في صدرها.

ابتعدت عن ليسنزو الان، تسلقت بعض الدرجات واتكأت

على احد الاعمدة، تراقب بهدوء اصدقائه الاثرياء، مدركة تماما الهوة العميقة بينهم وبينها. انه صاحب بنك غني، جميل، ساحر. ويتنقل في اوساط ارسقراطية... ولديه طموح للوصول الى مراكز اكبر. كما وانه يمسك مستقبلها بيديه.

شعرت وهي تقف هناك، على اعلى الدرج، تنظر الى شعر ليسنزو الاشقر اللامع، انها تقف على مفترق خطير في حياتها. وهو يعرف ماذا يشمل هذا التغير، لكنه ليس متأكداً من أنها تستطيع تحمله.

تنقلت بعينها حول النساء المجتمعة حوله، تتحدث معه بنعومة وترمقه بنظرات حلوة فقط. كاترينا الجميلة كانت هادئة، واضعة يدها براحة على كتف ليسنزو وكأنها تتمتع بحمايته فقط هي، التي لم تكن تتنافس على الحصول على اعجابها.

عكست ألسنة من النار قربها المزيد من التوهج على شعرها الاحمر، المنسدل على كتفها. نظر ليسنزو الى أعلى وكأنه ادرك للتو انها قد ابتعدت، بدا عليه الذهول وهو ينظر اليها. تلاقت عيناها فامسكت بالحائط بجانبها وكأنها بحاجة لمساعدة.

لم تعد ترى شيئاً الا عيناها الثاقبتان، وكأنها قد سمرت مكانها. ابقى عينيه عليها واخذ يعتذر ممن حوله، ويسير باتجاهها. بقيت مكانها تراقب تقدمه عبر الحشد الكبير.

تمتم قائلاً حين اقترب منها: «اعلم، ان هذا آخر ما اريد حدوثه، لكن ما ان نظرت اليك حتى شعرت اني لا استطيع التفكير الا ان اكون بقربك...» وتقدم منها ليقبلها.

همست متعجبة: «ليسنزو.»

«اعلم انني سأندم، لكنني لم استطع الا ان افعل ذلك.»

قالت وهي تبتعد عنه: «حان الوقت لتغادر سنديلا الحفلة.»

تابعت وهي تتكلم بجدية: «انني ذاهبة الى مكتب خاص بالسواح الان، لأرى ان كان هناك مكان استطيع البقاء فيه الليلة.» نظرت حولها فرأت كل اصدقائه ينظرون اليها بتعجب. فقالت: «اه، اصدقاءك!»

نظر اليهم، ليري كاترينا تنظر اليه برعب ودهشة معاً. شعرت ميرديث بطريقة غريبة انها لمحت ومضة انتصار في عيني ليسنزو.

قال: «اه!» ولم يبد انه آسف على الاطلاق. او، على الاقل انه مندهش حتى.

سألت بضيق: «ما الذي تفكر به، ليسنزو؟»

«انني في مشكلة، اتسامر مع...» شتم بنفسه وضرب بيده على جبهته، لكن لقد فات الاوان، لم يكن هناك من حاجة لقولها.

اكملت ميرديث بصوت كالهمس: «العدو؟» واختفى اللون من وجهها. «اه، ما زلت تنظر الي هكذا؟ ماذا ستفكر عائلتي بي...» توقفت عن متابعة الكلام، وانهمرت دموعها بغزارة، نظرت اليه بغضب وصرخت: «انت تحاول ان تسيء لسمعتي؟»

قال ساخراً: «بالرقص معك؟»

قالت لتهمه: «بأن تظهرني امام اصدقائك انني ارقص مع اي شخص لن ترغب عائلتي بالتعرف علي! ايها الخائن! كيف

تتظاهر أنك تشعر بعاطفة نحوي؟ بجانب من تقف، تكلم؟»
اخفض ليسنزو عينيه، وقال: «مما لاشك فيه اقف بجانب
المصلحة القصوى لعائلتي.»

نظرت اليه ميرديث بمرارة. انه يخذعها ثانية ودائماً، وهي
تقع بذلك دائماً أيضاً. لكن تصرفه غير معقول. قالت
بغضب: «توقف عن المراوغة! اجبني، ليسنزو! اجبني بصدق
ولمرة واحدة، هل تستطيع؟» راقبته يبحث عن الاجابة،
ازداد غضبها لأنه افسد عليها فرصة قبولها من عائلتها.
قال، وكأنه يتهرب من السؤال: «صدقاً؟»

قالت بيأس: «نعم! انت لاتعرف هذه الكلمة؟ ما الذي تحاول
ان تقوله؟»

قالت كاترينا بحدة، مقاطعة ميرديث: «سنزو!»

قال: «ليس الآن!»

اجابت كاترينا بغضب: «كيف يمكنك؟ أين اتفارقنا...»

تابع بغضب: «اعلم، اني اسف. انني فقط قد سئمت من...»

صرخت كاترينا بحزن: «انك تلعب بمصيري!»

اجاب ليسنزو بهدوء: «وانتم جميعاً تتسلون بمصيري، مرة

واحدة فقط، اتمنى ان افعل ما اریده. احب ان...»

قاطعته بسرعة: «لا يمكنك ان تتخلى عني! انني بحاجة لك!»

قال ليسنزو وكأنها لم تقاطعه: «تينا، عزيزتي، ربما حان

الوقت...»

وضعت ميرديث ذراعها حول كتفي الشابة بعطف، وقالت

الى ليسنزو: «ايها القاسي! انت لاتستحق فتاة صادقة! هل

كاترينا صديقتك؟»

«لا تعليق.»

شدت على شفتيها بقوة، وقالت: «يجب علي ان اصفعك، لقد
كنت تسامرني وتراقصني بينما كانت تراقبك؟ اه! انا احتقر
الرجال الذين يتلاعبون بعواطف النساء. تصرف بطريقة
جيدة، ليسنزو!»

قال بهدوء: «تذكري ماقلته لك. لاشيء كما يبدو. ولايمكنك
ان تأخذي اي شيء اقوم به بجدية. امور كثيرة تجري امامك
وانت لاتعرفين شيئاً عنها...»

قالت ببرودة: «وانا لا اريد ان اعرف، اذا كان يشمل
تصرفك بحقارة مع صديقتك.»

قال بغضب: «لا... تباً. هذا وضع مستحيل!»

قالت بحرارة، وهي تشعر بخيبة أمل ان ليسنزو يفقد
حس المسؤولية: «لاشيء مستحيل، وبدلاً من ان تقوم
بالالاعيب معنا، عليك ان تواجه مسؤولياتك وتتقبل نتيجة
اعمالك...»

اجاب غاضباً وبعده: «انا لا العب مطلقاً! هذه حقيقتي! لا
اقوم بشيء الا التفكير باعمالي. فالاعمال تحكم حياتي...»
«ليس هذه المرة، انت لاتفعل ذلك.» لامست شعر كاترينا
بالعطف. لم تفكر بنفسها، فكاترينا تعرفه وتحبه قبلها، وهذا
امر واضح. «ايها الشرير! يجب ان تسجن، كما فعلوا
بكارنوفال. انظر كم هي تعيسه بسببك! عليك الان تهدئتها وان
تسوي كل الخلافات بينكما.» نظرت اليه بتحدٍ صارخ وكأنها
تهدده ان فعل العكس.

«حسنأ، لن اجرؤ على رفض ذلك!»

اجابت غاضبة: «ماكنت تجرأت على ذلك لو كنت مكانك.»
ابتم ليسنزو بنعومة، عيناه دافئتان ومشعتان بالحب،

قال بنعومة: «هل دائماً تخوضين المعارك من اجل من تظنين انهم اضعف منك؟»

احست بألم شديد من رقة صوته، لكنها نظرت الى كاترينا الحزينة وقال بهدوء وكبرياء: «اذا كنت حقاً سيداً، عليك الاهتمام بكاترينا.»

قال باهتمام: «وانت؟»

رفعت رأسها غاضبة وقالت: «لقد جرحت كبريائي. لكنني سقطت على الارض مرات عدة واعرف كيف انهض بمفردي. اهتم بها. فهي بحاجة لك اكثر مني.» ودفعت كاترينا نحوه. متعجباً، ضم كاترينا ليهدهد من حزنها، لكن عينيه لم تفارقا وجه ميرديث الذي بدا الحزن عليه على الفور، قال بلطف: «يبدو انك قادرة على التضحية بما تريدينه لمصلحة الاخرين.»

قالت متلعثمة: «لا اعلم ما الذي تقصده.»

قال، وهو ينظر في عينيها: «انت تتحدثين عن الخداع، ومع ذلك تخدعين.» ابتسم عندما رفعت رأسها بعناد، تابع بنعومة: «عودي الى شقتي. سأجد مكاناً آخر للبقاء فيه هذه الليلة.»

شعرت ميرديث بغصة وهي تفكر بليسنزو وكاترينا معاً، قالت، وهي تتمنى لو انها لاتشعر بكل هذا السوء: «حسناً، اوافق على عرضك.» ابتعدت عنهما وهي تفكر انها فقدت كل أمل بمساعدته لايجاد كورزيني، تنهدت بعمق وألم.

«ميرديث!»

كان ليسانزو بقربها على الفور، نظر اليها وكأنه حبيبها، ابتعدت عنه، غير قادرة على تحمل عذابها. فهو يسيء اليها بتظاهره الحب لها بسهولة وبغفوية.

قالت وهي تسيطر على شعورها: «انني ابكي لأنني لا استطيع التفكير انني لن اجد عائلتي، وليس بسببك.» قال بقلق: «لم اتخيل ابداً ذلك، ابقي في شقتي لعدة أيام وتمتعي بوقتك واحضري ماشئت من الكرنفال. خذي هذا هو المفتاح.»

اتسعت عيناها وهي تمسك المفتاح منه. امسك بيدها، وكأنه لا يريد ان يدعها تذهب. قالت بسرعة، وهي مدركة لنظرات كاترينا عليهما «دعني اذهب، ولا تقف هنا طويلاً.» بدا عليه التوتر، وقال: «فقط للحظة. هل انت بحاجة للمال؟» رفعت رأسها بكبرياء: «لا! لا اقبل المال من احد.»

قال بهدوء: «كما تشائين، لكن اذا كنت تريدين شراء طعام رخيص، اذهبي الى بيزا او تراميزني. لا تشتري الطعام من اماكن قرب سان ماركو واقترح عليك التنقل بغايورتي، والتي هي رخيصة...»

قالت بعصبية: «شكرألك، انا لست حمقاء بالواقع. لقد اشتريت دليل سياحي من المكتبة. سأندبر أمري.»

قال: «سأقوم بكل مااستطيعه فيما يتعلق بآل كورزيني.» لم يكن الامر مهم ان صدقته ام لا. فربما كان يتظاهر انه يريد مساعدتها لينقذ موقفه امام كاترينا او ربما ليؤثر فيها لشدة لطفه. مهماً كان السبب، لم يكن هناك شيء تستطيع القيام به، غير الامل. ابتعدت عينيها عنه وسارت بين الحشد الكبير، وكل ماترغبه هو ان تبعد اكثر مسافة ممكنة بينها وبين ليسانزو.

فكرت بقلق لقد وصلت الى لعبة الانتظار الان. واذا كانت تنهي هنا فعليها الخروج لشراء الطعام. ابتسمت على مهل،

عليها العودة الى طبيعتها. فالحياة تستمر، مهما جلبت معها من خيبات أمل. في هذا الوقت ستتعرف على فينيس فهذه هي مدينة والدها، بالرغم من كل شيء.

لم تنجح تماماً بنسيان ليسنزو، على الرغم من كل الحماس والجمال في الكرنفال. ملأت ايامها ولياليها بأعمال كثيرة ولم تكن تنم الا ساعات قليلة، شاعرة بخيبة أمل لأن ليسنزو لم يتصل. لقد افتقدته كثيراً، وهذا ما اعترفت به بحزن.

وفي يوم السبت، قبل ان ينتهي السواح من تناول الفطور، سارت وهي تشعر بالدفء نحو ساحة سان ماركو، اغلقت الدليل الذي في يدها على الفور فقد طرأت على بالها فكرة بسرعة فالشك مازال يزداد كلما استمرت بالعيش في تلك الشقة.

لم تكن تلك شقة ليسنزو. والشيء المميز اكثر. ان لا احد يعيش هناك لأن المياه لا تصل الى المطبخ. وهذا يفسر كيف انه لم يكتشف زر النور عندما وصلا. يبدو ان الخداع طريقة للعيش بالنسبة اليه.

«ميرديث! تعالي!»

تجمدت اوصالها من سماع صوته. قالت عندما رأته: «يالللحظ الجيد، امير الاحلام يعود ثانية!» نظرت بدهشة نحو ثيابه. كان يرتدي جاكيت مطرزة ومذهبة مع حذاء طويل كبارون في القرن الثامن عشر، قالت: «اشعر وكأنني ارتدي ثياباً بالية.»

قال ضاحكاً: «للأسف، انت كذلك.»

نظرت الى البعيد وهي تريد ان تسأله عن الغموض الذي يلف الشقة، عندما رأت مجموعة من الاطفال في ثياب رائعة وحولهم عدد من الاهل. عادت الرقة الى وجهها على الفور. وهي تشعر بالعاطفة القوية نحوهم.

عندما استدارت لتسأل ليسنزو، شعرت بغصة من الاحساس الرقيق الظاهر في عينيه. بعد لحظة، نظر اليها وهو يبتسم بحرارة وفرح، وحب الشفاف للاطفال قد هزها بقوة.

قال بنعومة، وهو يشير الى مقعد بجانبهما: «لقد اتوا للمشاركة باستعراض الاطفال، إنهم جميعاً من دار الايتام الذي كنت فيه.»

سألت باهتمام: «كم كان عمرك، عندما حضنتك عائلتك؟» قال وهو يشير الى احد الاولاد، الذي كان فخوراً بزيه المذهب: «كنت في الرابعة من عمري، وشعرت على الفور بالمسؤولية.»

قالت وهي تتنهد: «كم هو جميل، اه، انني حقاً افتقد الاطفال في دار الحضانة.»

«لقد تخليت عن شيء تحببته كثيراً من اجل الاهتمام بجذتك، اليس كذلك؟»

قالت: «كانت جدتي بحاجة لي. فكيف لي ان اختار؟» اجاب: «شابات كثيرات بعمر كك قد فعلن العكس تماماً.» اثار انتباهه الحركة القوية التي قام بها الاطفال عندما اسرعت فتاة صغيرة بملاحقة حمامة، كانت ترفع يديها الصغيرتين في الهواء ووجهها مليء بالفرح، بدا عليه وكأنه يهضم الطفلة اليه.

سألت ميرديث بحرارة: «انت تحب الاطفال كثيراً، اليس كذلك؟»

قال بحذر: «نعم، احبهم..» لكن من خلال صوته الجاد احست بالشوق في صوته وتمنت لو تستطيع ان تكسر كل الحواجز القائمة بينهما لتصل الى نفسه الحقيقية، تابع: «اعتقد ان هذا جزء من شخصية كل ايطالي..» نظر الى وجوه الاطفال، وبدأ يتكلم وكأنه يعبر عن عاطفته: «انهم جيمعاً ابرياء، لا مشاكل لديهم، ويتقبلون العالم كما هو ويسعدون دائماً. عندما يضحكون يفعلون ذلك بفرح حقيقي. مثلك تماماً.»

ارتجفت عيناها، هل يمدحها؟ قالت: «اعلم انني ساذجة...»

قال مصححاً لها: «بريئة، نقية. حتى الان.»

قالت تتحدها: «حتى الان... هل تعتقد انك قد تفسد براءتي.» قال: «قد افعل.»

قالت بحزن: «يجب ان تحاول ان تكون مثل هؤلاء الاطفال الذين تحبهم، بدلاً ان تكون مخادعاً. تلك ليست شقتك، اليس كذلك؟»

اجاب بحدة: «لا. لم اتوقع ان السيد ميرديث وليمز سيبقى لذلك جهزتها بسرعة واستمررت في التظاهر انها بيتي لأنني لم ارد ان يعرف اين اعيش.»

«واين تعيش؟»

«سأخذك الى هناك.»

قالت غاضبة: «لا، شكراً.»

«اذن، اسمعي اخباري الجديدة.»

امسكت بكم جاكنته. وقالت محاولة ان تسخر، لكنها كانت

مضطربة اشد الاضطراب: «ليسنزو، هل اقنعت عائلتي انني لست برأسين ولا ذيل لي؟»

قال على مهل: «لقد حدثتهم عنك. المعارض الاساسي هي ام كورزيني. انها تكرهك بشدة.»

سألت ميرديث وهي تدفع شعرها الى الوراء: «لماذا؟» حرك ليسنزو شفثيه منقاداً: «من البداية، كانت مخطوبة لوالدك الذي تخلى عنها. وكاتفاق شرف، قرر انه يجب ان تتزوج من لوغي اخ والدك.»

قالت مستفهمة: «لدي عم؟»

قال بضيق: «كان لديك عم. لقد مات، مات وهو حزين من والدك لأنه اجبره على الارتباط بزواج مدبر.»

قالت تدافع عن والدها: «هذه لم تكن غلطة والدي.» رفع رأسه وهو ينظر اليها بقوة: «كان مسؤولاً عن اعماله، لقد اختار أمك على واجباته.» تذكرت ميرديث والديها واحست بشوق قوي لهما.

قالت غاضبة: «قالت امي انها تقابلا في الجامعة...» هذا صحيح كان انطونيو يدرس ادارة الاعمال هناك.

وكانت امك تمثل في مسرحية بالقرب من الجامعة. وعندما رآها تعلق بها على الفور، لكنها رفضت ان تترك وطنها.»

قالت: «وهكذا كان ابي مجبراً على الاختيار بين أمي، وبين خطيبته وفينيس.» لمعت عيناها من مجرد التفكير بقوة الحب وقدرته.

انفجر ليسنزو غاضباً: «كان هناك مسؤوليات جمة عليه حملها، كالأبن الاكبر في العائلة. هناك واجبات اهم بكثير من تلك التي كانت لخطيبته.»

قالت بهدوء: «تابع، اريد ان اعرف كل شيء..»
«شعرت العائلة بالعجز عندما عاد والدك ليقول انه
لايستطيع العيش بدون أمك. تلك... الممتلة، تلك المرأة في
المسرح.»

قالت ميرديث معترضة: «لم تكن أمي تهتم للمال مطلقاً، مع
انني استطيع ان افهم موقف والديه. وكم احسوا بالأسى
لخسارة ابنهم... انه لأمر مريع.»

قال ليسنزو: «اتحاد العائلة أمر مقدس.»

اجابت: «كل شخص يرى الامور من وجهة نظره، كان ابي
يبحث عن الحب ولم يرد التخلي عنه. قد تجد من الصعوبة ان
تصدق ان هناك شخص يرفض ماتحلم به دائماً.»

قال: «انك على حق. وانت تفهمين الناس جيداً، اليس كذلك؟
ونادراً ماتدينين. على العكس، تحاولين ان تفهمي لما فعلوا
ذلك. وكل تفكيرك مرتكز على الحب والعاطفة.»

تأثرت ميرديث من النعومة في صوته. كانت تحاول جاهدة
ان ترى الوجه الجيد في شخصيته، وبالنسبة لشخص مغرور
ربما تكون هذه هي المجاملة الوحيدة التي يقولها لها.

قالت: «احاول ان اضع نفسي مكانهم. تخيل العذاب الذي
كان يعيشه ابي، وهو يعلم انه من المحتمل ان لايرى فينيس
ثانية.»

«لقد عاد مرة واحدة اعتقد عندما وضع تلك الاغراض في
صندوق الامانات.»

قالت بعاطفة: «انني اعرفه، اتوقع انه اراد ان يتخلص من
كل شيء يذكره بابتعاده عن عائلته. لا عجب انه كان يبدر
احياناً شاردأ. مالذي جعله يعود تلك المرة؟»

قال بحزن: «موت شقيقه. لقد كان لوغي في الواحد
والثلاثين فقط من عمره. كان يمتطي الخيل وسقط عنه
ميتاً.»

تنهدت: «كم هو أمر محزن، هل لديه اولاد؟» ارتفع صدر
ليسنزو متنهداً وكأنه متأثراً جداً على خسارة ال كورزيني،
وهذا ما أثر فيها كثيراً، قالت: «اه، طبعاً.» تابعت وهي
تضحك: «بالطبع لديه اولاد. بما ان لوغي قدم مات، فلا شك ان
ابنه من كتب الرسالة الى جدتي، يطلب منها ان تعيد المفتاح
لصندوق الامانات. انه كورزيني الذي سأقابله.»

«استنتاج جيد، نعم، هو كذلك.» وتابعت فجأة: «هل تحبين ان
تشاهدي اين كان يعيش والدك؟»

شدت على ذراعه بقوة واختفى القلق من وجهها على
الغور: «احب ذلك كثيراً.» فكرت للحظة بالمرأة الحزينة التي
هجرها والدها فقررت الاختيار الثاني المناسب لها. لم تكن
لتفعل ذلك هي مطلقاً. نظرت اليه وقالت: «خذني الى هناك،
بسرعة.»

قال بضيق: «احضري امتعتك ويمكنك البقاء هناك طالما
انت في فينيس.»

فرح عميق لمع في عينيها: «هل تسكن فيه... عائلة
كورزيني؟»

«ستقابليته.»

شعرت بسعادة عميقة في داخلها، قالت بحرارة: «شكراً لك،
شكراً لك لأنك صدقتني، لأنك اعطيتني فرصة. لقد حضرت
لي هذا اللقاء ولا يمكنني ان اشكر كفاية. انني سعيدة جداً
لأنك فعلت الانسب...»

عاد التجهم السابق الى وجهه وكأنه رأى ان امتنانها غير مريح. قال: «هيا اذهبي، احضري امتعتك وقابليني بجانب منحوتة الاسد في بازيتيا هل تعلمين اين؟»

قالت، محاولة ان تهدأ نفسها: «الاسد المجنح في فينس، انت تعلم. انني اتعرف سريعاً الى معالم المدينة. ابرستو.» قالت ذلك وهي تبتسم بسعادة.

لم يرد عليها، فأسرعت بالعودة الى الشقة لتضع ثيابها في الحقائب، وعادت ادراجها بسرعة لتجد ليسنزو يسير ذهاباً واياباً بجانب الاسد المجنح، بدا عليه الغضب. فسارت ببطء، وهي تفكر ان ليسنزو يسيطر على كل الوضع. فتحقيق احلامها كلها امام عينها مع ذلك لديه القدرة على تدمير كل شيء.

قال بحدة: «لنذهب الى قناة باغليا.» وسار نحو جسر مصنوع من الاغصان حيث هناك الكثير من القوارب الآلية. انحنى ليسنزو ليتحدث مع صاحب احد القوارب. بينما كانت تنتظر، اخذت تحديق بحزن في جسر التنهدات الذي يبعد مسافة غير بعيدة عنها وفكرت بالسجناء الذين قضوا حياتهم في السجن، وهم ينظرون للمرة الاخيرة الى كل هذا الجمال في فينيس.

ارتجفت من الخوف على الرغم من حرارة الشمس المشرقة.

«هيا اصعدي.»

نظرت ميرديث الى القارب بقلق. وقالت: «الى اين سنذهب؟» قال بسرعة: «لقد اخبرتك الى منزل كورزيني. علينا ان نقطع البحيرة. اسرعي فالقوارب الاخرى تريد ان تنقل المسافرين.»

تابع بغضب فجأة: «تبألك، اذا كنت لا تتقين بي اذن عودي الى بلادك! لاتأتي! استطيع العيش بدون كل هذا التعب. لدي الكثير من الاعمال...»

سالت: «لديك اكثر من عمل واحد!»

قال ساخراً: «انني اقوم بدور حاضنة الاطفال، الم تلاحظي ذلك؟»

توقفت ميرديث عن الحركة، فهي لم يعجبها مايقوله. فإن كان هو يقوم بدور حاضنة الاطفال، فلا بد أنها الطفل المشاغب، لكنها لم تجرؤ على الرد عليه. عليها ان تلتطف الامور بينهما. قالت بهدوء: «انني آسفة لأنني اغضبتك. واسفة لأنني استغل وقتك الثمين، لكن انظر الى الامر من الناحية الايجابية. ما ان تجمعني انا وكورزيني يمكنك ان تتخلص من رؤيتي الى الابد، اليس كذلك؟»

قفزت الى القارب المطلي، الذي يقوده بحار بزي خاص، محاولة ان لاتفكر بالوقت الذي سيخرج ليسنزو فيه من حياتها. فهي لا تريد ذلك، لقد اصبح مهما لها كالتنفس، على الرغم من غموضه.

قال ليسنزو كلمات بالايطالية الى صاحب القارب، وامسك بالمقود وكأنه يريد ان يتولى القيادة بمفرده.

لم يسعدها ذلك، لكن لا قدرة لها على الاعتراض. ساعدت ميرديث صاحب القارب ليضع حقائبها الرخيصة وكأنها حقائب نادرة وشكرته بإبتسامة. فتح الرجل فمه لكن ليسنزو كلمه بالايطالية فشعرت ميرديث انه يطلب منه ان لايتكلم معها. تمتم ليسنزو بالايطالية: «شكراً كثيراً، بيانثو.» وهو يأخذ من يده مفتاح المحرك.

«شكراً، أمير.»

تنهد ليسنزو بضيق وبدا على البحار انه شعر بالندم، لكنه ترك القارب قبل ان تفكر ميرديث بما سمعته. أمير، شعرت بالغضب، بينما ادار ليسنزو المحرك وخرج من موقف سانت مارك وكأنه في سرعة قصوى.

أمير!

تذكرت كيف رفع رجال القوارب قبعاتهم عندما مرّ بهم ليسنزو، نعم، انه أمير. حدقت بعينيها الزرقاوين الى وجه ليسنزو. الكبرياء واضح في كل ملامح شخصيته. فكرت بالطريقة التي يصدر فيها الاوامر، وكيف حظي بالاحترام لمجرد وصوله الى فلورين، ومع ذلك يقول انه عاش يتيماً وقد ربته عائلة. كم هو أمر غريب.

قالت بصوت عال طغى على صوت المحرك: «انت أمير!» نظر اليها بعينين غامضتين بعدها رسم ابتسامة باردة على شفثيه وقال: «نعم، انا أمير.» بسرعة تمكن من ان يمر بين عدة قوارب.

كان معطفه الجميل يعكس الواناً على وجهه الغاضب. لمحت ميرديث بريق خيوط الذهب في معطفه، فكرت بحزن، بالطبع، ماذا يرتدي الامراء غير ذلك؟

سألت بتعمد: «كم مزيداً من الاسرار لديك بعد؟»

تمتم: «الالاف. لحسن الحظ ان صاحب القارب لا يعرفها كلها.»

قالت ترد عليه: «ليس هذا الموضوع للسخرية. انت تقودني الى مفترق خطر في حياتي! وكلما اقتربت اكثر، تهاجمني اسرارك. ماهو الامر المهم كي تخفي لقبك عني؟»

«انني اكره المظاهر الخادعة.»

قالت بعنف: «لن تحصل على ذلك مني. فالأمير ليس اكثر من لحم ودم كغيره من البشر.» تطلع اليها بعينيه الغامضتين، مما جعل دقات قلبها تتسارع فكل ما فهي يجعلها تشعر بالاضطراب قالت لتخفي اضطرابها: «انني اتأثر بالناس، وليس بالألقاب.»

برم شفثيه بطريقة مستفهماً، وقال: «هذا ما فهمته.» «اذأ كل تلك الكلام عن كونك فقير وانك عملت لساعات طوال كل يوم هو مجرد اقاويل، لتجعلني اشعر بالاسف نحوك...»

قال بسرعة: «انتظري لحظة! لم يكن الامر كذلك مطلقاً. وهذه هي الحقيقة. لقد كانت عائلتي تعاني من الفقر المدقع طوال فترة شبابي، والرشاء الذي تعيشه اليوم يعود الى مجهودنا القوي. اقسام لك.»

قالت وقد خف غضبها، فأى رجل يرق صوته عندما يذكر اسم عائلته لا يعقل ان يكون سيئاً: «اشرح لي، لا بد ان هذه ستكون اغرب قصة للثراء السريع قد اسمعها في حياتي.» حرك نفسه ليتمكن من موازنة القارب، وقال بقلق: «ردة فعلك مريحة، حتى انه لا تثيرك الشكوك.»

شعرت بالراحة، لأنه لم يبد عليها الارتباك، حتى ولو احست بالشك من لقيه، ومنه ايضاً. فهو يقود القارب، بقدرة قوية، وهي متعجبة كيف يتحرك بين الالات المتحركة وعيناه تشعان بقوة.

قالت تذكره بلطف: «لكنك لست أميراً حقيقياً، فأنت لم تولد أمير.»

ارتجف القارب بين يديه لأن المقود ضرب بمحرك السرعة. قال موافقاً: «نعم. لم اولد أمير. كان علي ان اتعلم كيف يتصرف الامراء. لقد مرّ وقت طويل قبل ان أشعر ان اللقب اصبح من حقي.» برم شفتيه متذمراً: «لا احب ان يذكرني احد ان ليس هناك اية صلة دم بيني وبين عائلتي.» قالت: «انه لأمر جيد ان يتذكر الانسان حياته الاولى. كما وانك لم تفكر ابداً ان لدينا ذات الاصل المتواضع. لا بد انهم فخورون جداً بك. هل هي عائلة قديمة؟»

قال بصوت مليء بالكبرياء: «منذ القرن الثاني عشر. ولديهم دم صافٍ يكفي لحكم امبراطورية فينيس بأكملها. كما ان اسم العائلة قد نقش في كتاب من ذهب، وهو يعود الى القرون الوسطى، وللأشراف فقط.»

«انها حقاً قفزة نوعية، من ميثم الى المجتمعات الراقية. لا يعقل ان يكون الامر سهلاً منذ البداية.» تخيلت الطفل ليسنزو يقوم باستعراض في بيزا في معطف مذهب وحذاء لماع في سنة، بعدها يجد نفسه يعيش حياة اسطورية في السنة التالية.

«كنت صغيراً. يستطيع الاطفال التأقلم والتعلم بسرعة، بينما يجد البالغون الامر صعباً.»

قالت ببطء: «نعم، لا بد ان التغيير صعب.»

فكرت، كيف يمكنها ان تكون غبية هكذا. فكل ما فيه يدل على مدى ثقته بنفسه، وسيطرته على كل مايقوم به.

قالت بلطف: «اعتقد ان عائلتك التي حضنتك لم يكن لديها اطفال، ولقد كانت بحاجة لمن يحمل اسم العائلة واللقب، ولتمنع اي قريب من....»

قال ليسنزو بسرعة: «نعم، اراد والدي ان يرثه شخص يعرف جيداً فينيس وتعلم ادارة الاعمال، شخص يمكنه ان يستحق المركز.»

قالت: «بكل هذه الاهمية؟» وشعرت بالهوة الواسعة بينهما. الان اصبحت تعرف لماذا كان يتحدث مع الكونتيسة. تنهد بقلق: «نعم، لدي المال والمركز والقوة. هل هذا يؤثر فيك؟»

نظر اليها بعينين ماكرتين، وشعرت على الفور بما يفكر به، قال وقد خاب ظنه: «انك مثل الباقيات، لقد قمت بالقرار المناسب.»

قالت بتوتر: «مالذي تعنيه؟ ليسنزو، الى اين تأخذني؟ اه، ارجوك. لا تسبب الاذى لي!»

الفصل السابع

بهذوء تابع ليسنزو سيره، موجهاً القارب الى الامام ومبتعداً من ساحة جيورجيو. اخذت ميرديث تنظر بقلق الى البحر امامها والى فينيس وراءها. الابراج القديمة والقصور العالية تترأى لها من بعيد من ضباب الصباح الكثيف. كان الهواء يتلاعب بشعر ليسنزو الاشقر ليبعده عن جبهته ويبرز التصميم القاسي في ملامح وجهه.

زاد سرعة القارب اكثر واكثر، ليمر بين جسرين من الخشب. اخذت الناس تلوح له وتصرخ، لكنه بدا وكأنه لم يلاحظ وجودهم.

صرخت، ما ان بدأ القارب يتأرجح بهما: «خفف السرعة! ما الذي تفعله؟»

بدا وكأنه يحاول ان يسيطر على غضبه. ومررت ميرديث يدها على شعرها الرطب، وهي تفكر ما سبب تصرفه هذا.

قال: «لو انني بكامل قواي العقلية، لكان يجب ان ارميك في عرض البحر.»

شعرت ميرديث بضعف في قدميها، ففقدت توازنها، لكن ليسنزو اسرع ليمسك بها، ويدفعها نحو مقعد القارب حتى تستعيد توازنها.

همست: «انا لا اشكل اي تهديد، اعتقد ان جدتي قد طلبت المال لأنها تعتقد انني امك الحق بذلك، لكنها فعلت ذلك

بسبب حبها لي وبسبب اليأس من شدة الفقر الذي نحياه... رأيتها بذلك تحقيقاً للعدالة.»

قال ومازال الغموض يلف وجهه: «مازلت مخلصه.» قالت وهي تتجنب نظراته المتفحصة: «لقد كان عملها خاطئاً، لكن ابن عمي اصبح يعرف ذلك الان، وبما انه ابن عمي ليوغو، فهو الوريث الوحيد وانا لا اريد شيئاً. لقد انتهى الابتزاز، يمكنه ان يتأكد من ذلك.»

تمتم ليسنزو بالرغم عنه: «اتمنى لو ان الامر كذلك!» قالت باصرار: «انه كذلك! انه لا يستطيع ان يكرهني بسبب تصرفات جدتي بينما كل الذي اريده، ان اشعر بالانتماء الى عائلة، ومعرفة ان هناك اقارب لي.»

شعرت بلمسة اطراف اصابعه على جبهتها، فرفعت عينيها اليه، وقال بصوت متأثر: «اذا كانت أمك بنصف جمالك، وربما لديها نصف قدرتك على الاقناع، استطيع ان أفهم كيف كان لوالدك القدرة على التخلي عن كل شيء من اجل البقاء معها.»

همست: «لا تقل هذا، لا تغازلني، تذكر كاترين.» اوقف القارب بجانب احد الاعمدة، ثم عاد الى ميرديث الحائرة لينظر اليها بتشكير. قال وهو يمسك وجهها بيديه: «امر مثير، لقد اصبح لدي خيار الان.»

ارتجفت عيناها بحذر لا يعقل ان يقصد الاختيار بينها وبين كاترينا. نظر الى البعد وتجهم وجهه، ارتجفت، خائفة من النظرة القاسية في عينيها. تنفست قائلة: «لا تقتلني! ليس الان بعد ان اصبحت قريبة جداً من السعادة...»

لمعت عيناها من الغضب، فابتعدت عنه بسرعة، تنهد بعمق

ليسيطر على غضبه لكن ظهرت عظام يديه لتظهر مدى انفعاله. رغم ذلك ابتسم وقال بنعومة: «انت تخافين مني، لكن اسلافي توقفوا عن اغراق اعدائهم منذ زمن طويل، انا استعمل وسائل مختلفة لأجعل الناس تفعل ما اريده.»
عضت على شفتها، لقد كانت كالنعجة التي اصطادها الذئب. انه من فينس وهو من سلالة حكمت العالم لقرون طويلة.

«مثل ماذا؟»

«اعتقد انك تعرفين..»

شعرت وكأنها تجمدت. التقت عيناها الزرقاوان بعينيه الغامضتين، لقد كانت نكرة... مشكلة لارغبة له فيها، ماذا يريد ان يفعل بها؟ حاولت ان تبتعد عنه، لكنه ضحك وهو يقترب منها اكثر. لقد كانا بمفردهما في ذلك الصباح. شعرت وكأنها سقطت في بحر من الثلج.
على الرغم من مخاوفها، رفعت رأسها بكبرياء، ليتطاير شعرها الاحمر ثم قالت بقوة: «من الافضل ان تقول لي ماذا تريد.»

همس: «اريدك، واريد كل شيء معك.»

ارتجفت ميرديث من الصدمة. قالت بيأس: «انت تعلم انه لا يمكنك الحصول علي!»

قال بثقة: «اعتقد انني استطيع.»

ابتعدت عنه، متضايقه من كبريائه الوقح انه يستطيع الحصول على كل مايريده لأنه امير من فينيس.

تذكرت كاترينا، فقالت بغضب: «هل هكذا يستغلون الامراء سلطتهم ومراكزهم؟ انك ترتدي كارستقراطي من القرن الثامن

عشر، فلا تتصرف مثله!» لمعت عيناها وهي تتابع: «انت تتكلم من قدرة الاختيار! وانا اختار من أحب. لارجل ولا أمير، لديه الحرية في التقرير عني. كما ان كاترينا تحبك...»
«لا، وأنا بالتأكيد لا احبها. مغفل من يفكر بها عندما يكون بقربك.»

«لقد... لقد تكلمت عن اتفاق بينكما... ماذا كانت تقصد بذلك؟»

قال: «هذا لايعنيك..»

قالت منذهلة: «انه زواج مدبر بينكما؟ زواج بدون حب؟ اه، ليسنزو، انت تخيب أمني!» وتابعت برعب: «اذا كنت تريد المال...»

قال ساخراً: «هل تعرضين علي اموالك؟»

«انت تعلم ان لامال لدي...»

ضحك ضحكة صغيرة: «لديك كنز صغير كما انك تملكين القناع والسفينة.»

سألت متوترة: «مالذي تقصده، القناع والسفينة؟»

قال، وهو يراقب ردة فعلها بقوة: «انهما يساويان ثروة طائلة.»

ابتسم ببرودة، عندما رأى الصدمة على وجهها: «انهما من العصور الوسطى. فعائلة كورزيني كانت تتاجر بالذهب لقرون طويلة.»

قالت غاضبة: «لكن السفينة قد تغير لونها، وانا اعتقد ان الذهب لا يتبدل؟»

«معك حق، لكن الالوان المختلفة التي في السفينة هي من وراء اضافة النحاس، ليصبح لونها ذهبي احمر، وازادوا

الحديد للون الازرق، والفضة من اجل اللون الاخضر . كما ان القناع مغطى بورقة من الذهب، انه غالي الثمن جداً. خذي هذه الاشياء وعودي الى بلادك. فلن تكوني بحاجة للعمل ثانية.» اضاف بنعومة: «سأوصلك في الحال الى المطار الان.»

اتكأت على جدار القارب، تفكر كيف كان ليسنزو سينفجر من الغضب لأنها وضعت القناع على وجهها! نظرت الى الحقيقية، حيث تضم شينين تافهين، وهو تؤمن انهما غاليين جداً... فقط لأنهما يعودا الى والدهما الحبيب.

قالت: «اريدهما.» ابتعد عنها، فتابعت: «انهما لوالدي، وهما كل ما املكه من اغراضه. لكن... ان كانا من حق العائلة، فمهما تكن حاجتي لهما، علي اعادتهما الى مكانهما الاصلي.»

ادار ليسنزو وجهه اليها. فكر انه قد خاب أمله لأنها لن تعود الى ديارها، وادركت وهي تشعر بخيبة أمل انها تريده ان يشعر بالسعادة لأنها لن تغادر.

قال، وصوته مليء بالضيق: «في هذه الحالة، من الافضل ان نتابع.»

شعرت بالراحة تتدفق فيها كأمواج البحر، لقد قالت الكلام الصحيح.

توقف ليسنزو عن الكلام، وعاد لقيادة القارب نحو جزيرة جميلة امامهما، تشع كقطعة من الفضة من خلال ضوء الشمس الخفيف من جراء الضباب القوي. ولشدة دهشتها، ادار المقود نحو قناة تقود مباشرة الى الجزيرة، وما ان بدأ يخفف من سرعة القارب حتى رأت اسماً محفوراً على احد الاعمدة «جزيرة كورزيني.»

قالت وهي تشهق: «تملك عائلتي جزيرة؟» اوقف المحرك قبل ان يتكلم: «عندما كثرت أعمال كورزيني في صناعة الذهب في القرن الثالث عشر، انتقلوا الى هنا خوفاً من خطر الهجوم عليهم وحرقت منازلهم.» تابع قائلاً: «لقد فعلوا ذات الشيء مع مصنع الزجاج الذي اصبح في جزيرة ميرانو.»

قالت متأثرة: «انني جزء من التاريخ.» بعيداً عنهما، كان هناك صياد، على بعد أميال منهما. اخذت ميرديث تحديق بالجزيرة، ليس فيها الا قصر واحد يتعالى ببرجه الكبير.

قال ليسنزو: «يعود بناء القصر الى القرن السادس عشر.» سألت بسعادة: «وكل العائلة تعيش هناك؟»

«لا.» صمت لفترة قبل ان يقول: «اسكن فيه لوحدي.» «انت؟ انت تعيش هناك؟ لكنك... قلت...» اجتاحتها رعب مخيف، اوقفها عن متابعة الكلام. تابعت ببرودة: «والان عد بي الى المدينة لن ابقى هنا في الجزيرة معك!»

قال بوضوح: «انها فرصتك الوحيدة لتتعرفني على عائلتك. عليك المضي بذلك. ستقابلين ابن عمك. اعدك بذلك. مازالت امه بحاجة الى المزيد من الاقناع. اخبريني الان، لنفترض ان لديك الحق بأن ترثي الجزيرة والقصر ايضاً. هل تأخذين هذا الارث من ابن عمك، الذي يعتقد انها كلها له؟»

قالت بحزم: «لا، ليس لي الحق بذلك. سأفعل ما اريد فعله الان... الاتصال بالعائلة متمنية ان يرحب بي بينهم.»

قال بصراحة غير مصدقاً: «ستبادلين كل هذا من اجل الحصول على ابن عم؟»

ضحكت وقالت: «التعامل مع الناس اسهل من التعامل مع الحجارة والتاريخ! كما وانني لا اعرف ماذا سأفعل بالقصر.»

قال بخشونة: «يمكنك البدء بتغيير مفروشاتة.»

فكرت انه يقصد بذلك العمل المفضل للنساء، ابتسمت لكنها لم تقل شيئاً. اخذ ليسنزو يقود على مهل كي يتوقف بدون اي ارتجاج.

كان من الواضح انه يفعل ذلك كل يوم، وهي تتخيل كم كانت الصدمة قوية عندما وصلت رسالتها وعلم ان ابن انطونيو عائد ليحصل على ارثه. لا بد ان وقعها كان كالكارثة! انه امر جيد انها فتاة! لم يكن من الممكن ان تصل الى هنا. كان ليسنزو منعها من ذلك بدون شك.

رفع ذراعيه وهو لا يزال يبتسم من افكارها. وضعت يديها على كتفيه، رفعها وكأنه لا يحمل شيئاً.

قال وهو يبتسم: «الامير وسندريلا.»

اجابت ببساطة: «ليس هذه المرة. هؤلاء الاثنان كانا متزوجين. تذكر ذلك.»

قال بضيق: «اتذكر. وعاشا بسعادة الى الابد. امسكي بيدي فالمرات غير آمنة.»

سارا معاً بصمت يداً بيد. وضوء النهار الخافت يصل اليهما من بين الاشجار، سمعت صوت العصافير تزقزق فرحة وتنساب مع صوت انحدار مياه عن بعد.

تنهدت قائلة: «انها كالحلم! انها الغابة في قصة الاميرة النائمة!»

«وصف رومانسي للغاية، انها اسوأ من ذلك بكثير.»

اسرعت ميرديث الخطى ورائه. كان يسير وكأنه فقد صبره. تحركت حيوانات صغيرة والعصافير من جراء وصولهما.

قالت، عندما رأت القصر بوضوح اكثر: «انه في حاجة ماسة لاعادة ترميم.»

قال، وهو يلمس بيده برقة جدران السياج: «الجدران بحاجة لاعادة ترميم كذلك السقوف يتسرب منها الماء عندما تمطر.»

تنهدت بحزن: «لا بد انه امر مؤسف. ان يرى احد القصر يتهدم هكذا.»

لم يجب ليسنزو لكنه وضع مفتاحاً كبيراً من الحديد في بوابة كبيرة. تقدمت امامه لتصل الى ارض رخامية، نظيفة ومرتبطة، مع باقات من الازهار على الطاولات. رفعت رأسها لترى الشقوق في السقف، لكنها رأت ابراج عالية تصل اليها عبر درج من الخشب القوي، ومحفور بشكل لم تر مثله من قبل. شعرت بضيق قوي في صدرها فجلست على الفور فجأة على اقرب كرسي رآته امامها.

قال متجهماً: «هل انت بخير؟»

سيطرت على نفسها كي لاتنهمر دموعها، قالت متلعثمة: «كان والدي يعيش هنا. انني في بيته، أتعرف على جزء من ماضيه. انه احساس مقدس. هل تعلم كيف كان القصر انذاك؟»

اجاب، ووجهه جامد كالحجر: «كان مؤهلاً. لو انه بقي. اما وصل الى الحالة التي بها الان.»

«لماذا تقول ذلك؟»

رفع ذيل معطفه الطويل وجلس بجانبها، اجابها: «لقد انهارت جميع الاعمال بسبب رحيل انطونيو. هل ترين، هذا يعود الى الثقة، الى كلمة الشرف التي يتعهد بها المرء تجاه عائلته. لم يكن لوغي ابدأ بصحة جيدة، وبذلك بدأت الاعمال تنهار واحدة تلو الاخرى، خاصة عندما مات.» لفظ الكلمات الاخيرة ولفت وجهه مرارة قوية.

سألت ميرديث بهدوء: «ماهي علاقتك بهذه العائلة؟ انك تكن لهم الكثير من المشاعر...»

قال مقاطعاً وبحدة: «لقد عاملوني بطريقة جيدة.»

قالت بروية، مقررة ان لا تضغط عليه اكثر: «انني اسفة، اسفة حقاً.» لا بد انهم ساعدوه عندما تعرض لأزمة ما.

قال: «تعالى الى مكتبي، سأصنع بعض القهوة.»

كانت تلك الغرفة، مؤهلة... نظيفة، جدرانها مغطاة باللوحات القديمة والجميلة. وعلى طاولة قديمة رأت كومبيوتر، آلة فاكس وآلة تصوير.

سألت ميرديث، وهي تنظر الى احدى اللوحات باهتمام: «من هي هذه المرأة في الصورة؟»

رفع ليسنزو نظره عن وعاء القهوة بحذر: «انها جدتك.»

قالت: «انها شقراء الشعر، مثلك!»

قال بسخرية: «اجدادك القدماء تركوا الكثير من الوقائع لتأكيد قوتهم.»

ضحكت وهي تقول: «اتمنى لو انني استطيع المساعدة بطريقة ما، انني ارغب في وضع كل ما املك في اصلاح هذه المقاطعة، لكنني اعلم ان ذلك سيبدو كنقطة ماء في محيط، قال، ورائحة القهوة الشهية تصل اليها: «اي عرض غريب.»

اجابت بحزن: «سأفعل اي شيء لمساعدة عائلتي.»

«اي شيء؟»

استدارت لمواجهته. كان ينظر الى الاسفل، لكنها لاحظت توتر اعصابه من ارتجاف يديه واصطكاك اسنانه.

سألت برقة: «ما الامر، ليسنزو؟ اخبرني.»

قال بقسوة: «اتمنى لو انك ترحلين! قبل ان تتأذي.»

همست، وهي تشعر بالرعب: «ما الذي تخبئه لي؟»

قال بصوت منخفض: «يمكنني ان اجعلك تعيسة جداً.

اعطيك الفرصة كي تهربي. الفرصة الاخيرة.»

قال كلامه بكل صدق. وانها كانت تثقل ضميره. قالت وهي تصرخ: «قل بصراحة، ليسنزو، دعني افهم كل هذا الغموض الذي يحيط بكورزيني، متى سيأتي الى هنا؟»

قال بحزن: «سيكون هنا في احتفال العائلة بعد عدة ايام.»

«وانا كذلك.»

«اجلسي.»

اشار الى احدى الكراسي المريحة، فجلست على الوسائد الوثيرة، تراقبه باهتمام، وهي ترتجف مما يخفيه عنها.

احضر على صينية فضية فنجانين من القهوة الصينية الصنع، وجلس امامها.

قالت بيأس: «اكره الغموض.»

قال بهدوء: «حافظي على هدوئك. يجب ان تسمح لي بالتصرف. هذه الحفلة... لقد قمت بأعمال شاقة جداً للحصول على بعض الوقت لأمضيه معك. هل تساعديني؟»

باعترت بالغضب، لأنه لا يزال يرواغ. سألت، وهي تشعر

بخيبة أمل لأنه لم يضع ثقته بها بعد: «كيف؟» وتابعت لنفسها انه دائماً يدور حول الموضوع.

قال: «ساعديني بالتنظيم لهذه الحفلة.» تفاجأت، لكنها شعرت بالسعادة، فهو بحاجة اليها، في النهاية. تابع قائلاً: «لا اتوقع منك ان تفهمي الان، لكن هذا يعني كل شيء لي، ميرديث.» تابع بفرح: «سعادتي ستتوقف عليها. سيكون هناك ضيوف من كل مكان ميلانو، بولونيا، روما... ساعديني في تنظيم وترتيب كل شيء، سيسعد أقاربك عندما يعلمون بتعاونك.»

قالت وهي تحاول ان تضحك: «اشعر بالتوتر منذ الان، من فكرة اللقاء بهم.»

«ستكونون جميعاً غرباء، لأن جميع من في الحفل سيضع قناعاً على وجهه. سيكون ذلك في يوم الثلاثاء، مارتيدا غراسو، الليلة الاخيرة في الكرنفال، يمكنك ان تفرحي، وتبقي على طبيعتك كما وانك لن تعرفي ابدأ مع من تتكلمين.»

«لغتي ستعرف عني على الفور...»

«سيكون هناك ضيوف كثيرين من انكلترا ايضاً. ستكون حفلة رائعة. موسيقى، طعام، رقص...»

قالت: «لقد دبرت كل شيء.» اقترب منها، ليمسك بصفيرة من شعرها ويلفها على اصبعه، قال وهو يهمس: «سنحطم كل العراقيل التي وضعتها ام كورزيني.» تابع واعدأ وهو ينظر بحب الى وجهها المشع: «كل الذي سيعرفونه انني اقدم شريكة لي لا تقاوم، وسيقتنعون بك تماماً كما حدث لي.»

ساد الصمت بينهما، فلقد شعرت ميرديث وكأنها تجمدت،

من مجرد التفكير فيما قاله: «اه، ليسنزو، انت لا تعني...» تمت، وهو يجثو امامها ويمسك بيديها بعاطفة: «انني احبك بجنون. انك تحب كبير. لم اقابل يوماً بحياتي فتاة مثلك. فأنت لاتعرفين الانانية وتهتمين للآخرين اكثر مما تهتمين بنفسك.» ابتسم لنفسه: «انك نقيه وصافية كالذهب، حتى انك تشعين مثله. لاشيء قادر على افسادك. انك مثالية.»

اخذ يقبل اصابع يديها، واحداً تلو الاخر، بينما اخذت ميرديث تحديق به بياس، فهي تعلم انها تحبه، احست بالأم قوي وهي تفكر بكاترينا. «ارجوك لا، ماذا عن...»

وضع اصبعه على شفيتها، وعيناه تحذرانها بأن لا تتابع ماتقوله. سألها بلطف: «انت لاتريدينني ان اتزوج من دون حب، اليس كذلك؟ لقد تعارفنا منذ فترة قصيرة جداً، لكنني اشعر بأنني اعرفك اكثر من اي شخص آخر. هل تشعرين بنفسي الشعور نحوي؟»

تنهدت ميرديث بياس. وقالت بحزن: «اه، ليسنزو.» وقف وأخذ يسير بالغرفة ذهاباً وإياباً، نظر اليها ليسأل

باهتمام: «هل تساعدينني في تنظيم الحفلة؟» أجابت وهي تشعر بالارتباك والغموض: «اذا كنت تريد

ذلك؟»

قال وابتسامة مشعة تلمع على وجهه: «شكراً لك، ربما علينا ان نتناول الغداء الان؟»

قالت متلعثمة: «الغداء؟»

قال بنعومة: «انت لاتعرفين الكثير عن الرجال، اليس كذلك؟ انني احاول ان اسيطر على نفسي.»

فكرت بالبقاء بمفردها معه، وعلمت انها لاتستطيع، فهي

بريئة وتكن له الكثير من العاطفة. قرأ الحقيقة في عينيها، فتقدم خطوة نحوها.

قالت بسرعة: «الغداء.»

توقف ليسنزو على الفور، وقال: «نعم، ميرديث.» لكن كان هناك ابتسامة مخيفة على وجهه الغامض، فشعرت بالحيرة والقلق من مقصده، فهي تشعر من داخل قلبها انها لايمكنها مطلقاً الوثوق به.

قال مقترحاً بعد ان انتهيا من تناول الغداء: «تعالى واختاري ثوباً يناسبك للحلقة.»

بدا الأمر بريئاً وعادياً جداً. لكن عندما فتح باب الغرفة في الطابق العلوي ورأت بنطالاً وروب حريري على احدى الكراسي حتى علمت انها غرفته.

قالت مترددة: «يجب ان لا ادخل.»

نظر اليها وضحك: «ميرديث! كل مكان في القصر هو مثل الآخر، في المطبخ، على الدرج، او في غرفتي.»

ابتسمت بقلق: «كلامك غير منطقي.»

قال بفرح: «على العكس انه منطقي جداً.»

امسك بيدها وقادها الى خزانة حديدية كبيرة ليفتح احد الصناديق بداخلها.

قالت: «انها رائعة.» وامسكت بأصابعها الرقيقة القماش الناعم بينما كان يمسك بعدة فساتين مميزة لتختار من بينهم القماش الفاخر للتنانير جعلها تتمنى لو تستطيع ان ترتدي كل هذه الفساتين، وحتى معاطف الرجال المميزة.

قال موافقاً: «لا يتم انجاز الثياب بذات الطريقة في هذه

الايام.» وهو يرفع بيده ثوباً نادراً من عهد الملكة فيكتوريا. رفعت يدها بسرعة: «هل تقصد ان هذه الثياب هي الاصلية؟» وهي تشعر بالخوف من افساد الثياب.

قال: «بالطبع، انظري.» وامسك ثوباً مطرزاً وتابع: «اللون الاخضر مذهل عليك.»

قالت، وهي تهز رأسها مترددة: «لا، لا استطيع. هذه الثياب يجب ان توضع في متحف، ليسنزو. فبدون العناية الكافية ستمزق هذه الفساتين الى اشلاء.»

«مارأيك بهذه؟ لقد صنعت من اجل كرنفالات احدث عهداً. هذا الثوب، مثلاً.»

ابتسمت وهي تنظر الى فستان بلون الزفير الازرق ولديه تنورة واسعة، بينما قماشه من الدانتيل والحرير المطرز، كذلك اكمامه الضيقة مطرزة باللؤلؤ والخيوط الفضية وقد ملرزت بشكل يناسب الزهور على التنورة.

احست وكأنه فستان لسندريلا بدون شك. رفعت القماش الناعم الى خدها، وهي تغمض عينيها كالحلم.

قال بصوت ناعم: «اختيار الفستان لا يكفي. احب ان اراك ترتدينه.» علمت انه من الخطر ان تفعل ذلك، فقالت: «ربما... من الافضل... ان اختار زياً رسمياً اكثر؟»

سخرت عينا ليسنزو من جبنها. وامسك بالثوب ليقربه منها وقال: «اذا كان هناك ثوب يناسبك، فما هو.»

قالت: «اريد العودة الان الى فينيس.»

سار ليسنزو امامها، فسارت وراءه ببطء، وصل امام الباب الخارجي، وهناك توقف.

ما ان وصلت الى اعلى الدرج حتى قالت: «من الافضل ان نسرع!»

اجاب من دون ان يتحرك من مكانه: « لايمكننا الذهاب في هذا الطقس.»

قالت، وهي تضع يديها على وسطها: «ماذا؟ عليّ الذهاب لاستطيع البقاء هنا معك.»

تمتم بقسوة: « لا اعتقد انني أريد البقاء هنا ايضاً، لكن لاخيار لدي. انظري تبا للضباب. انه يتكثف ليعزل الجزيرة عزلاً مطلقاً.»

شعرت بالخوف من كلامه، وقالت: « لا بد انه ليس سيئاً بجانب القارب.» وتابعت سيرها نحو الممر. قبل ان تسير مسافة اطول، علمت ان الضباب قوي جداً. حتى انه يخفي كل شيء. حدقت بياس وخوف في الفراغ أمامها صرخت وهي تشعر بالتهديد من الوقوع اذا تابعت تقدمها: « ليسنزو.»

قال بحدة: « اهدئي. انني هنا انت ترين كم ان الضباب كثيف، اليس كذلك؟»

سألت بمرارة: « هذا أمر مخيف. هل لديك اين نوع من الاتصال لمعرفة الطقس؟»

قال: «من المفترض ان تكوني أنسة الاشراق الدائم. فبدي هذا الضباب.»

استدار ليعود الى القصر، فسارت وراءه، وهي لاتريد ان تبقى بمفردها حيث ان الطيور قد اختفت ايضاً من الضباب.

سألت: « انت غاضب؟»

تنهد قائلاً: « لا. نعم. اه، ليس منك. انني غاضب من نفسي، ومن الضباب ومن كل عائلة كورزيني. الواجب والعمل! فقط لمرة واحدة

احب ان اقوم بما اريده وبما اختاره.» اغلق الباب وراءهما بقوة، ثم التفت اليها بوجه يلمع من الغضب: « والان...ماذا سنفعل؟»

الفصل الثامن

في آخر الامر، وبعد مضي وقت طويل من الصمت في المطبخ وهما يشربان القهوة، بدأ العمل بتنظيم الحفلة. نسيت ميرديث نفسها بالعمل، وساد جو من الهدوء بينهما لكن مع ذلك كلما سمعته يضحك كانت تشعر بألم عميق في صدرها.

بعد ذلك، تجولاً معاً في القصر واخبرها عن كل مايحتاجه من ترميم واصلاح، وتخيلت والدها هناك، يتزحلق على الدرج، او في قاعة الاحتفال، وشعرت بعاطفة قوية نحو المكان تزحف اليها كالضباب الداكن في الخارج.

اشعل لسينزو ناراً في المدفأة المصنوعة في القرون الوسطى، وجلسا بجانبها يتدفآن. بينما كان الضباب يلف المكان.

قالت وهي تنظر الى الخارج: « يبدو كأن الضباب يريد الدخول.»

قال بنعومة: « لا ألومه على ذلك، فكل ما هو جميل هنا.»

استدار لينظر اليها، والابتسامة الناعمة على وجهه جعلت قلبها ينبض بسرعة، رأى ذلك... بطريقة ما... لم تدر كيف،

لأنه تابع بصوت ناعم كالعسل: «ميرديث، انني مجنون بك.» احست من كلامه بألم في قلبها، فهي تحبه بدون شك، لكنه ان يعرف ذلك لأنه يملك قوة عليها تجعلها ضعيفة امامه.

قالت: « لاتكمل...»

قال بنعومة، وعيناه تراقبانها بقوة: «انني احتاج اليك، هل تحبينني؟»

هزت رأسها موافقة، امسك بها وابتسم بركة: «قولها لي، احب ان اسمعك تقولينها، تيامو.»

همست: «احبك، ليسنزو، احبك، تيامو.»

نهض على الفور، وقال: «سيكون هناك مفاجأة لك في الحفلة. عمت مساء، وليلة سعيدة.» وغادر الى غرفته.

بقيت جالسة بدون حراك لفترة طويلة، تحديقاً بالسنة النار، وهي مشتتة الافكار. حدس ما جعلها تشعر انه يخطط لأمر ما وهذا الامر لا يعجبها. ارتجفت من مجرد التفكير بذلك.

بقي الضباب يلف الجزيرة ويعزلهما عن العالم لليوم التالي.

سألت: «هل اتصلت بعمال التنظيفات؟» وهي تنتظر الى القائمة التي وضعتها، كانت تخطط، وهو يتصل. فكرت بأسى انهما يعملان بطريقة جيدة معاً.

قال: «نعم، كذلك المصممين لتزيين القاعات سيأتون غداً... اذا سمح لهم الضباب... لتعليق الستائر.»

قالت وهي تضع اشارة على الورقة: «حسناً، هل سيحضر الذين يهتمون بالحديقة بعد الظهر؟»

تمتم: «الانستطيع ان نتناول الغداء الان؟» بقيت ميرديث تنظر اليه بقوة فتابع ضاحكاً: «وانا اعتقدت انك لطيفة وحنونة.»

ارادت ان تضمه اليها، بينما قال متذمراً: «سأموت من الجوع هنا.»

قالت بحزم: «سننتهي من عملنا اولاً. هكذا يجب ان تتم الاعمال، لن اسمح باللغو.»

قال بهدوء: «اذن من الافضل ان تضعي غطاء على وجهك، لانني ارغب في تقبيل تلك النظرة في عينيك.»

اغمضت عينيهما، محاولة ان تخفي شوقها اليه. وقالت: «ارجوك ليسنزو، احد منا عليه ان يكون منطقياً.»

قال بصوت اجش: «لأول مرة في حياتي، لن اكون انا.» قالت باهتمام: «لقد عملت بجد لتصل الي ما انت عليه، اليس كذلك؟»

وقف واخذ يسير وهو يقول: «كل الاطفال كانت تخرج اللعب بينما كنت امضي كل اوقاتي في العمل والدرس. كنت اطمح ان علي ان اكون ممتازاً في كل شيء لأتمكن من انقاذ

عائلتي من المشاكل المادية التي مرت بها. ولقد اقسمت ان اخوتي لن يحتاجوا لشيء ابداً.»

قالت بفرح: «لم تقل لي مرة ان لك اخوة.»

ابتسم بلطف: «اخوتي في الدم. لقد حضنتنا العائلة جميعاً. سيكونون في الحفلة.»

قالت: «اخبرني عنهم، ارغب في لقاء عائلتك كما ارغب في لقاء عائلتي.»

ضحك: «هذا ماسيحدث!! ريزي يعمل في الارض، وفونزي يهتم بالخيل.»

ناثرت ميرديث بملامح وجهه وهو يتكلم عنهم: «انك تحبهم كثيراً.»

«واوجه الموت في سبيلهم.» شعرت بحرارة شفثيه علي راحة يدها. تابع بنعومة: «ان قلبك يخفق بقوة كقلبي تماماً،

انت تحبينني حقاً، اليس كذلك، عزيزتي؟»

همست: «نعم، احبك.» لكنها تابعت: «ليسنزو، هناك الكثير من العمل علينا القيام به!»

قال بشيء من الندم: «عمال الحديقة. عليّ ان اطلب منهم ان يقطعوا الكثير من الازهار لكي يصبح الممر اكبر ولكي لا تتمزق فساتين النساء بالاشواك. ان وجهك جميل جداً، افكر في اجد لك قناعاً كي تتمكن من تفضية النهار... كما انني طلبت منهم ان يحضروا قارب مليء بزهور الغاردينيا.»
قالت بدهشة: «ليسنزو، ازهار الغاردينيا تكلف ثروة!»
«نعم، كذلك عيناك...»

قالت محذرة: «لا تقل ذلك! انك غير معقول! اخبرني... هذه الحفلة مهمة لك، اليس كذلك؟»
ظهر الحزن جلياً على وجهه وقال: «مهمة لي ولك معاً.»
ولم يشرح لها ماذا يقصد بذلك، مهما حاولت واصرت على ذلك.

ارتفع الضباب وامتلاً القصر بعدد كبير من العمال، بعضهم يتحدث بالانكليزية ولقد وصلوا جميعاً بسبب انتظارهم لتحسن حالة الطقس. وجدت ميرديث لنفسها مترجم... ابن الطاهي... ولقد اصبح لا يفارقها كظلالها.

قال ليسنزو وهو يبتسم: «انك تجيدين اعمالك، انت رائعة.»
تنشقت عطره الفاخر متعمدة ان لا تنظر اليه وقالت: «انني اطير كالعصفورة. انه لعمل رائع، ان ترى القصر تدب فيه الحياة ثانية. اتمنى لو ان لدي المال لاساعد ابن عمي في ترميمه.»
قال وهو يبتعد: «فكرة جيدة. مالذي...» ثم التفت يتحدث الى المسؤول بلغة ايطالية.

«باستا. باستا.» صرخ مدير الاعمال باهتمام، محاولاً ان يمنح ليسنزو من تحرك الطاولات.

قال الولد الذي يعمل في المطبخ: «انه يقول له لينتبه على الطاولات.»
تمتمت ميرديث: «لقد فهمت ذلك.» واستدارت نحو ليسنزو لتتابع: «مالذي تريد القيام به؟»
قال بهدوء: «اريد نقل الطاولات الى هناك، تعالي وانظري.»

اقترب ليسنزو منها، امسك بذراعها وشدها الى مدخل قاعة الرقص وقال: «انظري الى هذا المنظر.»
قالت: «مدهش.» وهي تراقب البرادي الحمراء المطرزة بالذهب بينما كان بعض العمال يضعون الشموع على الجدران وآخرون يعملون على تعليق بالونات حمراء وذهبية اللون على مداخل القاعات. بدا الأمر وكأنه احتفال كبير. قالت تحدث ماريو الصغير: «نحتاج الى الكثير من الماء هنا.»

قال ليسنزو غاضباً: «انتبهني لما اقوله لا اريد ان يرى الضيوف هذه القاعة الا بعد ان ينتهوا من تناول الطعام. دعهم يأكلون اولاً، ثم ادعهم لاحقاً بما تفعلينه. لا تدعهم يرون كل الشيء منذ البداية.» تابع وهو يبتسم: «كل شيء في وقته.»

قالت بتحدٍ: «هذا ماتبدو عليه، لكن اذا اغلقت هذه الابواب ان يتمكن احد من سماع الموسيقى الى قاعة الطعام.»
«سيسمعون. لأننا سنحضر فرقتين للعزف. سيتمكن ضيوفنا من التسلية وسماع فيفالدي وهم يتناولون طعامهم. وفي الوقت المناسب ستفتح ابواب قاعة الرقص، حيث ستذهل الجميع بشموعها المضاءة.»

ضحكت وقالت: «يبدو الامر رائعاً، سنعمل على تغيير مكان الطاولات.» «لنتمكن من القيام بذلك وضعت يدها برقة على ذراع مدير الاعمال بينما كان الولد يترجم ما طلبته. عندما ظهر على الرجل الضيق، نظرت اليه فرفع يديه مستنكراً. لكنها ابتسمت له مواسية، فأمر كل العمال على تغيير مكان الطاولات.

قال ليسنزو معلقاً: «نظرت اليه بطريقة لا يمكنه ان يرفض، لاجب ان الجميع يبتسم وهو يعمل هنا. كنت اتوقع ان يكون المكان مليئاً بالفوضى... وعلى العكس، ارى انه واحة للسلام والهدوء. يمكنك بسهولة ادارة قصر مثل هذا.»

إصطبح وجهها باللون الاحمر من مديحه، سعيدة ان تتمكن من انجاح هذه الحفلة. قالت بنعومة: «تعلمت تنظيم الحفلات من والدي، حتى عندما كنت صغيرة كنت ادور حوله واساعده، تماماً مثل ماريو هنا.» قالت ذلك وهي تضع يديها على كتفي الولد الصغير وتضمه اليها.

بدا على الولد السعادة والفخر وحاول ان يلفظ كلمة علمته اياها. تجنب كل من ليسنزو وميرديث الضحك كي لا يشعر انه بالحرج.

قال يسنزو مفكراً: «انك تجيدين التعامل مع كل انواع الناس، والناس تحب ان تعمل معك، فأوامرك واضحة ومنطقية كما انك تلفظينها بحبة وتواضع، ولديك حماس قوي لكل ماتقومين به.»

قالت مازحة: «انك تجاملني.» وهي تشعر بالقلق انه لا يقصد حقاً مايقوله. لكنها تابعت: «والان ابتعد عن طاولة، اذهب وتابع عمك.»

قال: «هل استحق ان اقبل الاميرة النائمة ان فعلت؟ اعتقد هذا مايفعله الناس في حياتهم.»

قالت وهي تضحك: «لما لا؟ عندما اتعرف على اسرارك المخفية.»

حدق بها بارتباك للحظة واستدار، جلست ميرديث وقد شعرت بالآلم. الاسرار. احست برجفة في جسمها. انه يورطها في قضية تثقل ضميره.

بقي طوال فترة بعد الظهر يتجنب رؤيتها، وهي تزداد توتراً. كانت تشعر وكأن فراغ دامس سيقضي على سعادتها، على الرغم من كل الجهود المثمرة التي كان يقوم بها العمال. نهار الثلاثاء المنتظر، تطلعت ميرديث الى الزينة والعمل الذي قامت به بفخر. عندما استدارت لتصعد الدرج لتهيء نفسها، رأت ليسنزو يتكأ الى احدى الاعمدة، يراقبها من مسافة قصيرة. ومهما كان يخطط له، لم يعد يعينها. فهي تحبه كثيراً.

قالت بهدوء: «انني اشعر بسعادة لم احظ بهامند سنين. هذا كان منزل والدي، وانني من عائلة كورزيني، اذا كنت سأعيش قصة كالحلم، فلا بد انها هي.»

قال بصوت اجش: «اذهبي وغيري ملابسك، الليلة ستكونين اميرتي.»

نظرا الى بعضهما، وشعرت انه من الصعب عليها التصديق انه قد يتورط بأمر سيء. ومع ذلك، قالت بتلعثم: «ماذا سيحدث ايضاً؟»

قال بصوت منخفض: «ستكتشفين صدق مشاعري نحوك.»

«يببدو الامر خطيراً.»

قال، وعيناه تلمعان بشدة: «اريدك، واريد كل شيء. تحلي بالصبر، حبيبتي.» ابتسم قليلاً وتابع: «هذه الليلة سننزع القناع، لن اختبأ وراء الخداع بعد الان.»

قالت بصوت مرتجف: «اتمنى ان لا تتحول من أمير الى ضفدعة.»

«يمكنك تقبيلي لتعلمي.»

«لا، من الافضل ان اصعد وابدل ملابسي.»

سارت مبتعدة وهي تسمع ضحكته متوترة وقلقة. اندفعت بسرعة لتنزع الستار وتنظر الى ضوء النجوم.

كان الممر يلمع تحت الضوء الخافت الذي يخفي الغابة وراءه. اخذ صوت الموسيقى ينبعث بهدوء بينما بدأ الضيوف بالتوافد، يتحدثون ويعبرون عن اعجابهم بما يرونه.

بالكاد استطاعت ان ترتدي ثوبها. فلقد كانت اصابعها ترتجف من التوتر، ربما لاتريد ان تعرف الحقيقة ربما لاتريد ان تتعرف على عائلتها. ربما...

«ميرديث! هل انتهيت؟»

«نعم.»

قال ليسنزو بحدة: «انهم بحاجة لك!»

شعرت بألم شديد، وقالت: «بعد لحظة!»

«الان.» وفتح الباب على الفور لترى ليسنزو بكامل اناقته، مرتدياً معطفاً مطرزاً بخيوط من الذهب، ربطة عنقه الجميلة تناسب لونه البرونزي. ردد قائلاً: «الان.»

قالت بصوت ضعيف: «انني خائفة.»

قال غير مصدق: «لقد عملت على تنظيم حفلة لمئات الاشخاص، وتشعرين بالخوف؟ ضعي القناع، وستشعرين بالراحة، تبدين رائعة.» تابع برقة اكثر: «لن يكون هناك أحد بجمالك.»

ابتسمت بخجل: «شكراً.»

تمتم: «ابتسامتك تنير كل الغرفة، اذا ضعفت الانوار، سأدعك تقفين في وسط القاعة لتثيري علينا وسنرقص جميعنا حولك.»

ضحكت، وقلبها يخفق بقوة: «احمق!»

«هذا أفضل، فقط ابقى على طبيعتك. ولن يتمكن احد الا من الاعجاب بك.» امسك بقناعه وتابع: «ضعي هذا لي.» اقتربت منه، لكنه امسك يدها، وانحنى قليلاً، ليقبلها. قال ببساطة: «شكراً لك.»

قالت بفرح: «اهلاً.» اخذت القناع منه ووضعت بهرقة على وجهه وربطت الاشرطة بعناية، وضع قبعته فوق الشعر المستعار. قالت: «سألحق بك على الفور.» ترددت قليلاً ثم امسكت بذراعه لتوقفه، وقفت على رؤوس اصابعها وقبلت قناعه.

قال متذمراً: «هذا القناع سيفسد اسلوبى.»

ابتسمت ودفعته للخروج. شعرت بالامتنان لأنها ارتدت ثوبها باكراً. فوجوده بقربها يزيد من توترها. مع ذلك مازالت تخاف كثيراً من الساعات القادمة.

زرعت الغرفة ذهاباً واياباً، منتظرة حتى تمتلىء القاعة بالضيوف، كانت تسمع الموسيقى الناعمة عندما بدأت تخطو نحو الدرج. كادت ان تسرع بالهرب عندما لاحظت ان كل من في القاعة قد التفت اليها.

اسرع ليسنزو اليها من بين الحشد مجتازاً درجتين في الخطوة الواحدة، لأنه شعر بتوترها. قال ضاحكاً: «تابعني الى آخر الدرج وستحصلين على القلب الارجواني.»

قالت وهي تتنفس بعمق: «سأصل الى الردهة، اه، انظر الى تلك الاثواب الرائعة!»

قال مشجعاً إياها: «اين هي الاثواب التي تقارن بأزياء كورزيني؟ تذكرني، وراء هذا القناع، لن يعلم احد اذا كنت قلقة.» ضغط قليلاً على يدها، وتابع بسرعة: «من اجلي، افعلي ذلك لأنك تحبينني.»

ببطء استدارت برأسها نحوه ولمعت عيناها وهي تقول له: «بالطبع.» رفعت تنورتها وسارت ببطء، رافعة رأسها، وكأنها تقوم بدور السندريلا في حفلتها الاولى، محاولة ان لا تقوم بحركة مفاجئة تحرك حبات اللؤلؤ على الشعر المستعار.

اسرع الرجال نحوها، حتى انها اصبحت في وسطهم ما ان خطت الدرجة الاخيرة. شعرت بأن ليسنزو يترك يدها ضمن الحشد. فنظرت الى ازياء الرجال واقنعتهم، واخذت تصغي الى كلامهم من غير ان تتفوه بكلمة.

ساروا بجانبها حتى وصلت الى كنية واسعة فجلس حولها بعضهم، بينما ذهب البعض الاخر ليحضر الطعام والشراب.

«اتسمحين؟»

نظرت نحو الصوت باهتمام، بينما اخذ المصور لها صورة. وانحنى بعض الحضور لها باحترام، ومع ذلك بقيت صامتة، حتى عندما احضر لها احد الخدم كوباً من الشراب.

اقترب ... ند نزع قبعته ذات الريش وانحنى لها
١. ارام قائماً يترتي.»

احنت رأسها قليلاً اليه وتابعت احتساء الشراب. امسك الرجل بيدها، ثم اخذ يتفحصها وقال ضاحكاً.
«انت بريطانية؟»

ضحكت وهي تنظر الى يدها: «اه، نعم! هل هذا مكتوب في يدي؟»

«انني ماهر في معرفة النساء من خلال ايديهن. اولا اعتقدت انك ايرلندية، فبشرتك ساطعة البياض. وانت حمراء الشعر، اليس كذلك، اميرتي؟»

قالت بحزن: «نعم.» وتابعت بحرارة الى الشباب الذين احضروا لها الطعام: «شكراً لكم، انني لست متأكدة كيف سأتمكن من تناول الطعام. هل تعتقد انني اتمكن من تمرير الشوكة تحت قناعي؟»

سمعت صوتاً مألوفاً لديها يقول: «ابتعد، ريزي، اذا كان احد سيقوم بإطعام السندريلا، فهو انا.»

«سينزو، ايها البخيل الكبير! انت تقوم حقاً بدور الاخ الكبير...»

تمتم ليسنزو: «كاترينا في القاعة الاخرى.»

«حبيبتي؟ الف شكر!» ولمس ذراع ليسنزو بامتنان واختفى بين الحشد.

همست، وهي تشعر بالسعادة: «هذا ريزي، انه لطيف. هل هو وكاترينا حبيبين؟»

«هس، انه مازال سرّاً حتى هذه اللحظة.»

شعرت بأن عبء ثقيلاً قد انزاح عن كاهلها. كاترينا هي

فتاة ريزي، وليست مرتبطة بزواج مدبر مع ليسنزو. قالت متسائلة: «كنت قاس جداً معها.»

قال ليسنزو بلطف: «علي ان اكون كذلك، انها شابة وثرية جداً، واهلها لا يوافقون على ريزي لأنه لا يحمل دماً نبيلاً. عرضت ان اتقدم لها وهكذا تستطيع مقابلة ريزي سراً. ولم يستطع اهلها معارضتي.»

قالت بقلق: «اه، لكن سيخرجان معاً في العلن بعد الاحيان.» قال مزاحاً: «مهلك ميرديث، هذا ماقلته لكاترينا عندما غادرت. اما ان تكون لديها الشجاعة لتقرر مواجهة اهنر او انها غير مناسبة لأخي.»

قالت معترضة: «هذا أمر قاس.»

هز كتفيه وقال: «نساء عائلتي يجب ان يكن كذلك. عليك الحصول على ماتريدنه في هذه الحياة.» ضحك، وهو ينظر في عينيها، مدّ ذراعه واخذ صحناً من اللازانيا بالبندق، من غير ان يبعد نظره عنها، قال: «افتحي فمك، ميرديث.»

كان القناع يظهره مخادعاً، شعرت فجأة انها مع ليسنزو كمن يلعب بالنار. لقد درب نفسه على ان يكون متشبثاً برأيه، يشق طريقه مهما كلفه الامر. سيرميها جانباً اذا لم توافق على مخططاته.

ارتجفت من رأسها حتى اخمص قدميها، ولأنها كانت تشعر بالجوع، كانت تطيعه وهي تشعر بالاحراج، لأنه جلس على الارض بقربها مع تحديق الضيوف به.

همست: «ستكلم الناس علينا.»

قال بهدوء: «بالطبع سيفعلون.» واخذ يأكل من صحنها ثم يمسك بصحن جديد.

قالت غاضبة: «مالذي تنوي عليه؟» متمنية لو انها تستطيع رؤية وجهه. فليس هناك من فائدة ولو ارتدى الرجال الاقنعة.

تمتم: «سأحضر لك الصحن الثالث من المقبلات، جربي هذا، انه رائع.»

قالت موافقة، محاولة ان تحتفظ بهدوئها: «امبروزيا.» قال مصححاً لها: «كانستريلا.» لمعت الاضواء، فاستدار ليسنزو، ووضعا يده على ركة ميرديث وقال: «ابتسمي.» نظرت الى فريق التلفزيون الذي كان يصورهم، وادركت انها متوترة بشكل كبير، فعادت تحتسي الشراب. كان كوبها فارغاً، فقبلت كوباً آخر من ليسنزو.

قالت متذمرة: «كان من المفترض ان أقابل عائلتك، ولكنهم لن يلاحظون وجودي ان بقيت هنا اجبر على الأكل من قبلك.» انحنى رجل طويل امامها وقال: «اه، اجمل امرأة في فينيس.» قفز ليسنزو على رجليه ليوقف على الفور.

قال: «اميرتي، هذا جوليو دو فار. انه صديقي... وسيد بارع في صناعة الذهب.»

اجبر الرجل الفرنسي بطريقة ما الشباب ان يخلو له المقعد بجانبها، قال: «يشرفني ان اتعرف عليك، فأنت سنديلا الحفل.»

اصغت الى مجاملته، وهي تشعر بالانزعاج، اختفى ليسنزو لفترة، ولم تكن تشعر بالراحة الى مجاملة الرجل الفرنسي لكنها علمت ان هذا هو اسلوبه بالتحدث. عندما بدأ يمدح ليسنزو، فأصغت اليه باهتمام اكبر.

سألته: «تقول ان البنك الذي يديره يتعامل بالذهب؟» وقد

شعرت بالدهشة، فعائلته وعائلة كورزيني مرتبطان معاً بالذهب.

اخذ جوليو قطعة من باندولي ومضغها بفرح، قال وهو يضحك: «بأي شيء آخر قد يهتم به شخص مهم كما سنزو؟ نحن معاً نحب ان نعمل بالذهب. انه رائع ومميز نساء. فعندما يكون حاراً يكون ناعماً، لكن، قد يصبح مطواعاً وعندها يصبح بارداً، لكنك تعلم كيف تتعامل معه.»

ضحك بفرح من نكائه، وقالت: «لابد انك رجل غني اذا حانت مهارتك قديرة كلسانك.» امسكت بمحرمة كانت على جانبها لتمتص نقطة صغيرة سقطت من الشراب على ثوبها.

سأل الرجل، وقد لاحظ ان ميرديث تحرق بانذهال بالمحرمة: «هل هناك أمر ما، اميرتي؟»

قالت متلعثمة: «لا، لاشيء، ارجوك تابع.»

تابع جوليو حديثه بينما اخذ فكرها يدور حول الحقيقة انها تحمل محرمة ليسنزو مع ان الاحرف الذي عليها هي ل. ك. نظرت الى الاحرف الممهورة على صحنها. فرأت انها ذات الاحرف ليسنزو كروزيني. فشعرت وكأنها تجمدت من البرد.

بقيت مذعورة تحت القناع، واحنت رأسها لحديث جوليو. ليسنزو هو كورزيني، هذا ماكانت تعيده على نفسها. لهذا كان شديد العداوة في البداية، ويعلم كل شيء عن العائلة، وهو يملك جزيرة اسولو كورزيني. هذا هو قصره، وهو ابن عمها.

رقصت مع جوليو. وتحدثت لوقت طويل الى السيدة

بومبادرو، التي اخبرتها عن ولعها بمنطقة ايلز وامطرتها بالعديد من الاسئلة.

لكنها كانت في ذهول، عيناها تبحثان دائماً عن ليسنزو، محاولة ان تفسر وتجد العذر لأكاذيبه. لكن ذلك من المستحيل، شعرت وكأنها لاتستطيع التركيز فشيء مهم وغامض يحيط بها، وقبل ان تكتشفه لاتستطيع ان تعطي اي تفسير له.

بعدها ويغموض سمعت اصوات صراخ وصوت جرس يقرع. استدارت جميع الوجوه الى ليسنزو، الذي وقف على كرسي، ويده مرفوعتان وكأنهما تشيران الى الناس بالسكوت، تحدث باللغة الايطالية، لكن كلامه كان يتضمن بعض الكلمات باللغة الانكليزية، شعرت ميرديث بالإثارة في كلامه. احست وكأنه سيعلن خبراً بغاية الاهمية. فازدادت توتراً.

«... اخي العزيز ريزي وخطوبته على الكونتيسة كاترينا فيفاريني...»

اندفع الناس بالتصفيق الحاد اعلاناً عن سرورهم، ووجدت ميرديث نفسها تضحك وتصفق، فليس هناك من أمر شرير.

فقط السيدة بومبادور بجانبها لم تتحرك، نظرت اليها ميرديث بتعجب عندما سمعتها تقول بصوت هامس يائس: «ليسنزو، ليسنزو.» فكرت ميرديث برعب، أمه، انها أمه! لقد كانت تتمنى لو ان كاترينا تتزوج من ليسنزو.

تابع ليسنزو: «سكوت، والان... واعلن خطوبتي و...» وساد هرج كبير في القاعة. شعرت وكأن الغرفة تميد بها،

انه يقصد إيذاءها، يريد ان ينتقم بسبب المشاكل التي سببتها هي وعائلتها. لقد عمل بجد كي تقع بحبه ليتمكن من رفضها امام كل الناس. سيتخلى عنها كما تخلى والدها عن زوجة لوغي... هذا هو دوره.

صرخ ليسنزو بفرح: «الانسة ميرديث! ميرديث كورزيني!» اشار اليها بالتحديد. حدق بها الجميع، فشعرت بجفاف في فمها، وكادت ان تقع على الارض لو لم يمسك بها شابان ويسيران بها عبر تصفيق الجميع. رمت نظرة خاطفة على امه. كانت تصفق، وترفع يديها عالياً كعلامة النصر، والضحك والدموع تغطي وجهها. سألت بهستيرية عندما وقفت امام ليسنزو: «مالذي يجري؟»

قال بحب واضح: «ميرديث، تبدين وكأنك في عالم آخر.» ارخى ببطء قناعه وقناعها، ثم ضمها اليه برفق وقبلها. قالت وهي تتنفس بياس: «يجب ان اتكلم معك، في مكان خاص.»

قال مبتسماً: «بالطبع، وستكونين غاضبة مني وبعدها ستوافقين. إنها الطريقة الوحيدة للقضاء على اي احتمال للخطأ. أليست مفاجأة رائعة؟»

«انني.... انني اشعر بالذهول. ليسنزو...» قال متفهماً: «تريدين ان توبخيني، حسناً، لننتهي من ذلك.» سمعت صوت السيدة بومبادور الدافىء: «ميرديث، انني سعيدة جداً. اهلاً بك في العائلة.»

قالت منذهلة: «سعيدة؟ لكن...» «ماما، أعذرينا. هناك اشياء يجب ان نقولها لبعضنا.»

اسرع ليسنزو بأخذ ميرديث نحو باب صغير، كانت ترتجف، وعلى الرغم من رفضها، كان يضحك بفرح واضح. رفعت يدها الى رأسها، لتتزع الشعر المستعار عنه، كل شيء يلفه الضباب من حولها. قالت بهمس: «اعتقد انني بحاجة كي اجلس.»

قال باهتمام: «اه، عزيزتي! لم افكر ابداً ان أوذيك.» جلست على المقعد بينما اخذ ليسنزو بفك ازرار معطفها، حاولت ان تمنعه فقال: «انت بحاجة للتنفسي، عزيزتي.» وتابع بلطف: «الاتشعرين براحة اكثر؟»

تمتمت: «نعم.» لكنها كانت تشعر بتعب منهك. قالت غاضبة، محاولة ان تجعل بعض المنطق في كلامها: «امك...»

قال بنعومة: «لقد اخذت الامر من دون استشارتها. انها تعلم انني مجنون بك، ولقد اخبرتك، هي تعلم انني احصل دائماً على ما أريده. وهي تحبني كثيراً، فكل ما أريده، تريده، وهي مسرورة كيف سارت الامور. مسرورة جداً.» وضع اصبعه على شفتيه وقبله ونقل القبلة اليها.

سألت بقلق: «وانا؟ ألا تهتم بكونك خدعتني؟» شعرت بالمر في حلقها، فشربت من كوب الماء بيدها، متمنية لو تعرف لما تشعر بكل هذا الخوف. كانت تشعر بالغموض من حولها والأكم يعصرها من الداخل. لو انها تتخلى عن السيطرة على نفسها لأصيبت بالجنون. تصرخ به وتضربه... «لما تظاهرت ان اسمك سلفياتي، بينما انت كورزيني؟»

ابيض لون وجهه، فازداد خوفه، سأل بقلق: «متى علمت بذلك؟»

أجابت ببساطة: «منذ ساعتين.» فارتاح قليلاً، وتابعت: «رأيت احرف اسمك على المحرمة.»

نهض واخذ يسير في الغرفة ذهاباً وإياباً: «فهمت.»
«انا لم افهم شيئاً.»

«عزيزتي، سلفياتي هو اسم عائلتي الحقيقي، انا ادعو نفسي ليسنزو سلفياتي كورزيني.»

قالت مرتبكة: «لوعي هو الذي حضنك، وليس هناك من صلة دم بيننا؟»

«اطلاقاً. لا احمل قطرة دم واحدة من عائلة كورزيني...»

قاطعته، وهي تحاول تفهم الامور، ببطء: «جدتي طالبت بحصة من اموال كورزيني لي، لأنني الوريثة الوحيدة.»

توقف ليسنزو عن متابعة سيره واستدار لينظر في وجهها البارد.

ضاعت عيناه بحدة: «اعتقدت انه بامكانك تحمل ذلك...»
قالت، بدون اي تأثر: «تابع، اخبرني لماذا حاولت منعي من معرفة انني من عائلة كورزيني.»

عض على شفته السفلى قبل ان يقول: «أعترف ان العائلة ارادت ان تبعدك. كنا نتوقع رجلاً، لاتنسي ذلك! أعتقدنا انه سيحضر ليأخذ كل ماحصلنا عليه... كل ماتعبت من اجله لمدة طويلة، وهو لا يستحق ذلك. كان علي منعه. انه واجبي تجاه من أحب.»

«ومع ذلك غيرت رأيك.»

«لا، انت من جعلني اغير رأيي.» نظر في عينيها وتابعت: «بدأت ادرك ان لديك صفات رائعة، ومع ذلك كان علي

ان اقنع أُمي بأشياء أكثر من احساسي وحببي لك. لذلك وضعتك في عدة مواقف لمعرفة ذلك.»

ارتجفت عيناها، وشعرت بمزيد من الارتباك، ثم قالت: «عذراً؟»

«انها الطريقة الوحيدة. كان علي اكتشاف اشياء كثيرة عنك في وقت قليل. أمانتك، مثلاً. لقد اعدت لي المال، هل تذكرين؟ لقد برهنت لي انك لاتسعين وراء المال، وانك تملكين القدرة للقيام بأعمال عظيمة، وان اخلاقك لسو الحظ، اغلى مالدك...»

صرخت، وهي تقفز من الغضب: «ايها المتوحش، لقد اخضعتني لعدد من التجارب...»

قال بصوت هادىء وهو يسير نحوها: «من اجل مصلحتك. ماكنت تعلمين ماالذي ينتظرك.»

قالت بلهجة أمرة: «توقف عن الكلام! أخضعتني لتجارب وكانني كلب في سيرك يقوم بالالاعيب ليفرحك؟ هل سأحصص على جائزة ترضية كمكافأة؟»

لمعت عينا ليسنزو بقوة، واصبح وجهه بارداً: «قطعة رخام وكأنه علم انه فقدها. قال بصوت اجس: «لم اجد طريقة اخرى لأحمي مصلحة عائلة كورزيني.»

قالت بكبرياء: «انا هي كورزيني! انا الوحيدة المتبقية من تلك العائلة! انا... بجزيرتك اللعينة وبقصرك! لم ارد شيئاً على...»

«علاق...» خانها صوتها. كان هناك شيء لاتفهمه. سبب ما يجعها يراقبها بحذر مع انها كانت ترتجف من الغضب.

قال بغضب: «ستفعلين. من الافضل ان اخبرك، اجلسي.»

«لا أريد...»

قال بصوت كزئير الاسد: «اجلسي!» اتخذت قدماها القرار عنها، فجلست مترجعة ومتعبة. قال بضيق: «هذا هو السبب الذي جعلني بمنتهى الحذر، ميرديث. لقد اخرجت كورزيني من ديون كبيرة بجعل المصرف يستعيد دوره. وهو يعود الى وريث انطونيو... لك. كذلك بالازو على القناة الكبرى... حيث امضينا الليلة الاولى من وصولك... والذي كان مهتماً تقريباً.»

«لقد قلت انه لا ينتمي الى عائلتك.»

«انه كذلك، انه يعود الى وريث انطونيو، لك. كذلك المقاطعات قرب باديو حيث يعمل ريزي. والاصطبل الذي يديره فونزي. هذه الجزيرة، وهذا القصر. انها امبراطورية، ياميرديث، ولقد صنعتها بيدي... اعتقدت انني لن اتشارك بها مع احد، الا لأولادي. لكن لديك دم هذه العائلة ولذلك فلقد ورثت ثروة طائلة.»

كانت تصغي اليه وهي تشعر بالحقيقة المرة، واحساس بارد يلفها لحظة بلحظة، وفجأة لم تعد مرتبكة واصبح دماغها يعمل بوضوح كلي.

همست بياس: «فهمت، وعندما لم تتمكن من التخلص مني اخذت تعمل على تغييرني كما تعمل بقطعة من الذهب، وتديرني كما تريد... قطعة خام تساوي الملايين، وقعت بسهولة في راحة يدك.»

«لا، ليس الامر كذلك...»

قالت بهدوء: «انه كذلك، كنت تعلم انني فتاة عادية وسانجة، وكنت نكياً كفاية لتتمكن من الوصول الي: عبر

الاطفال، عبر شوقي الى عائلة تضميني. وبعدها اخبرتني ما احب ان اسمع: انك تحبني. لكن ذلك كان كذباً، ككل شيء فيك. انا وريثة انطونيو. واذا تزوجتني، ستسيطر على كل ثروة كورزيني. انني محقة، اليس كذلك؟»

قال بقسوة: «لدي اعمال خاصة بي...»

«لكنها ليست مهمة لك كأعمال عائلتك التي حضنتك. وان يكن، ان اصبحت زوجي، فأنت وريزي وفونزي لن تتأثروا بعودتي.»

قال وعيناه تتحديانها: «صحيح.»

نظرت الى اسفل محدقة بيديها، متمنية ان تحافظ على عقلها. انه لا يحبها. لقد تظاهر بذلك، من اجل الحفاظ على قوته، وعلى مركزه... حتى على اسمه.

همست بمرارة: «قلت انك ستفعل اي شيء من اجل مصلحة عائلتك. لقد وعدت ان تسبب لي الازي، وانك تريد كل شيء، على الاقل هذه هي الحقيقة. لقد كتبت انت تلك الرسالة لجدتي! لقد اقدمت على قتلها...»

قال بصوت غاضب: «لا، ميرديث! لا! لقد قلت انها كانت مريضة! انني اسف حقاً لما حدث، لكنها سببت لنا كل المآسي والقلق.»

«ولذلك اردت الانتقام من حفيدتها. بخداعها للقيام بزواج مصلحة.» تابعت تتهمه: «اي تضحية كنت ستقدم عليها.»

صرخ بقوة: «لن يكون ذلك تضحية.»

صرخت بغضب: «لاتكذب علي مجدداً، احتفظ بشيء من كرامتك! انت لم تتحمل فكرة قدوم فتاة فقيرة لتحصل على كل هذا المال. لذلك قمت انت وعائلتك باخراج مسرحي بينما

تلهيها وتدير رأسها البريء والساذج حتى لاتعلم ماالذي يحدث معها! وكل ذلك الوقت الشيء الوحيد الذي كنت تقوم به خداع حقيير..

قال باستياء: «لاتعتقدين انني قد انحدر الى هذا المستوى!»
«بلى، لقد قلت لي مرة انك تتمنى لو تستطيع التخلص من الاثقال التي تحملها اياك عائلتك. حسناً، سأخلصك من واحدة.»

انسحبت تحت نظراته المتعجبة وسارت نحو الباب.

همس فيما وجهه ابيض شاحب: «ماالذي تفعلينه؟»

قالت بحرارة: «اتركك وارحل..»

همس: «لايمكنك ذلك. الجميع بانتظار عودتنا...»

«حسناً، جميعهم مخطئون، اليس كذلك؟» وتابعت

ببرودة: «وداعاً، ليسنزو.»

قال بحدة: «ميرديث، انا حقاً اريد الزواج منك...»

«ليس لأن فينيس كلها تعيش في عالم الخيال، يعني ان عليك التصرف بغباء. اه، أعلم انك ستجد فتاة غيري. فلقد اصبحت خبيراً بذلك.»

رأت انه يقف جامداً مكانه، فسارت ميتعدة بكبرياء... ضربت بريزي وكاترين اللذين كانا ينظران الى بعضهما البعض بنعومة وحب كبيرين وهذا ماجعلها تشعر بالعذاب والاکم. فكرت، ان هذا هو الحب، وهذا ماتريده حقاً.

ابتسم ريزي وقال: «ميرديث، انني مسرور لك... مسرور لنا جميعاً.»

سألت مستفهمة: «حقاً؟»

ضحك ريزي: «تبددين مصدومة.» ضم كاترينا اليه

وتابع: «كذلك كاتي. كل الامور سارت على مايرام. معك وسنزو معاً، عائلتنا ستصبح قوية وصامدة كالجبل.»

ابقت عينها منخفضة كل الذي تستطيع التفكير به ان جميعهم متورطون في ذلك... نوع من عائلة المافيا، تعمل خفية لتتأكد ان ليسنزو في النهاية سيحصل على كل شيء. امبراطوريته لم تلمس.

«طفلتي!»

صدر انين مزعج من ميرديث. وهي تشعر بيدي والدة ليسنزو تطوقانها وكأنها قطعة نادرة. وهي كذلك بالفعل. كما تعتقد. من تحت رموشها لمحت ليسنزو، يظهر عند باب الصالون ووجهه متقد من الغضب.

قال ريزي مازحاً: «انها حقاً جيدة، اليس كذلك؟»

ارتجف كل من ليسنزو وميرديث على كلامه.

قالت امه بحماس: «رائعة! لقد خشينا من الافلاس عندما اخبرنا ليسنزو انك قادمة. و...» تابعت بثقة، وهي تربت على وجه ميرديث البارد: «لقد شعرنا باليأس عندما اخبرنا انك مصممة على معرفة كل شيء عن عائلتك. اشعر بالسعادة لأنك ستتزوجين من الغالي سنزو ولم يعد هناك من حاجة لبقاء اي أمر سر بيننا.» اضافت بصوت ناعم: «انا بشكل خاص اريد ان اعرف كل شيء عن والدك.»

سألت ميرديث مستفهمة: «كيف يمكنك مسامحته بعد ان هجرك؟»

«لدي الحب في حياتي... حبي لأولادي.»

من زاوية عينها، رأت ميرديث ليسنزو يضم ذراعيه على صدره، وشعرت بالتوتر ينتقل منه اليها. قالت: «اذن اتمنى

كل السعادة لك بهم، لأنني لمعلوماتك لن اتزوج من ليسنزو.»
شهمت الأم: «ماذا؟ ميرديث! لا يمكنك ذلك! عليك الزواج به!»
سألت بغضب: «ولما علي ذلك؟ كي ابقى ثروة كورزيني
كماهي؟ انتم جميعاً شاحبون. ساعدكم ترتاحون. انا لست
مبتزة، مثلكم. انني سأعادر فينيس كلها على الفور.»

قال ليسنزو بغضب: «ماذا تعنين، تغادرين فينيس؟»

اجابت بسرعة وبقوة: «انني راجعة الى بلادي. يمكنك
الحصول على كل شيء، القصور، المقاطعات في باديو،
وخاصة الاصطبل. انت بحاجة لتتعلم عن علم السلالة لأنني
اتمتع به. ان كان ذلك له علاقة باسلافي الارستقراطيين او في
الواقع من خلال تربيتي القديمة المحافظة والتي تحترم
الشرف والاخلاق. احتفظ بالقناع والسفينة ايضاً. لا اريد
شيئاً يتعلق بك او بكورزيني... لاشيء.» تركتهم مذهولين،
وسارت خارجة نحو القوارب، حيث طلبت قارباً. سمعت
وراءها صراخاً، فطلبت من السائق الاسراع عبر الظلام
المحدق بها.

كان صوت الثلج المنكسر، يمتزج مع اصوات الموسيقى
في الحفلة، بدأت الالعاب النارية تضيء سماء المنطقة. رأت
قارب ليسنزو يشق الماء بسرعة قصوى. كان غاضباً بما
فيه الكفاية كي يؤذيها. هذا ما فكرت به وهي مرتعبة. وان
فعل ذلك فلن يجد اي عائق امام ميراثه.

قالت بتوسل: «اسرع.»

كان عليه ان يلف حول مركز كبير للالعاب النارية في وسط
ساحة سان مارك. وكانت اصوات المفترقات كأصوات
المدافع. لكنها وصلت الى الشاطئ قبل ليسنزو بعدة

لحظات، غير مهتمة لثوبها، قفزت ميرديث من القارب
وركضت بين الناس المحتفلة بالعيد، كانت تتنهد من
الخوف والألم لفقدانها الرجل الوحيد الذي احبته واحترمه،
لكنها اكتشفت ان مثلها الاعلى لديه اقدام من طين. هذا
ماكانت تفكر به بياس وهي تسير نحو مفترق ضيق.

«امسكتك!»

«اه!»

قال بقسوة وهو يشد بها نحو الحائط: «تباً لك، ميرديث.»

صرخت بعناد: «انني عائدة الى بلادي!»

اجاب بحدة: «لاتحملين اي مال معك.»

قالت بسرعة، وهي ترفع نقنها: «انني متأكدة انك تستطيع
ادانتني بعض المال.»

قال مازحاً: «انت، تستدينين المال؟ لا بد انك يائسة.»

«انني كذلك.»

«ثيابك ليست معك، فكل حاجتك هي في جزيرة اوسلو
كورزيني.»

همست: «اشحنهم. يمكنك تدبر ذلك الان، ليسنزو، دعني
اذهب! انت حقاً تريد التخلص مني، اليس كذلك؟»

رفعها على حاجز الجسر الصغير، فصرخت، نظرت الى
المياه العميقة تحتها، قال بقلق: «لا، لن ارميك في الماء،

سابقك هناك ريثما اجبرك على الاصغاء لي.»

قالت بصورة قاطعة: «لن افعل ذلك.»

شدها اليه ونظر في عينيها. شعرت بألم عميق فهي لاتزال
تحبه رغم كل الكذب والغموض الذي يحيط به.

قال لها: «ما الذي تقوله لك عينايا؟»

«انك مخادع، وانك مصمم على جعل وضعك مشين صادق.»

عندها قال ببساطة: «انك عمياء، ميرديث. وانا لا استطيع تحمل المزيد من ذلك. احبك. احبك بجنون، بياس، وبكل مالدي من قوة. اذا كنت ستغادرين فينس، اذن سأفعل ذلك انا ايضاً.»

ارتجف صوتها وهي تقول: «ماذا؟»

قال وهو يتنفس براحة: «الان بدأت تصغين. ميرديث، انك تسيئين الحكم علي. انه ليس ما انت عليه وما تملكين هو الذي يهمني. عزيزتي، اخبرت امي انني احبك قبل ذهابنا الى الجزيرة، ولكنها جعلتني اعداها ان لا اخبرك من اكون قبل ان تعترفي بحبك لي. انه لأمر مهم ان تحبيني، وليس ان تحب الامير ليسنزو كورزيني، وانا لا اريدك ان تفكري انني اتزوج منك لاحافظ على مركزي.»

تمتت ميرديث بتجهم: «كانت سعيدة جداً عندما اعلنت نيا خطوبتنا.»

«هذا لأنها تعلم انني مجنون بحبك. انها تحبني. وتريد لي كل السعادة. هي لا تهتم بمن سأتزوج، فقط تريد ان تعلم انني احب زوجتي، وأني كذلك.»

قالت متلعثمة: «وكيف يمكنني ان أتأكد؟»

«لايمكنك. لذلك ان كنت لن احصل عليك هنا، واذا كنت مصممة على مغادرة فينيس، اذن سأرحل معك، سأخيم خارج كوخك وادق على بابك ليلاً نهاراً حتى اصل الى رأسك العنيد والغبي كي يقتنع بأنني احبك.»

«لا اعرف...» وجدت نفسها تتمنى وتتأمل هل حقاً هي غبية وعنيدة. «ستتخلي عن فينيس؟»

«نعم، لقد اعتدت على التفكير ان والدك كان احمقاً حين تخلى عن كل شيء. لا، ليس بعد الان... يحتاج الرجل الى شجاعة قصوى ليواجه مسؤولياته. الان اعلم انني كنت مخطئاً. يحتاج المرء للشجاعة ليتمكن من التخلي عنك وانا افعل ذلك ثانية. انت بهذه الاهمية لي. حسناً. لنذهب الى المطار.»

شهقت: «ستعيش في كوخ صغير على ضفاف نهر وايلز.»
«بالطبع، اذا كنت سأصبح زوجك.» ساد الصمت فجأة.
الناس، الموسيقى، والالعاب النارية كلها صمتت. ابتسم ليسنزو وتابع: «لقد اصبحتنا في منتصف الليل. وهذه هي نهاية عيد الثلاثاء. انني الان بلا قناع. هذا انا، ميرديث، الرجل الذي يحبك.»

«وما الذي ستفعله؟»

قال ببساطة: «اي شيء. ومن يهتم، طالما انا معك.»
شعرت بالفرح في داخلها. لكنها لم تدعه يرى ذلك. ابقت مشاعرها بعيدة عن التعبير في وجهها وكأنها مازالت تلبس قناعها. سألت: «اي طريق توصلنا الى المطار؟»

اجاب بفرح: «هذه.» وبدأ بالتحرك ليسير فوق الجسر.
قالت بصوت واضح: «لا!»

ارتعب ليسنزو واستدار بسرعة، كان جسده يرتجف وهو يقول: «اه، لا تفعلني هذا بي ميرديث. اني احبك! هل هذا هو انتقامك؟ سدمرين حياتي ان كنت سأعيش بهذا الشوق لك! اذا كنت لم تحبيني ابدأ...»

تنهدت وقالت: «بل احبك، ولهذا لن اسمع لك بأخذي الى المطار.» شحب وجهه وازداد توتراً لم تعد تستطيع تحمل

حزنه ويأسه. انه يحبها، انه حقاً يحبها. ولقد كان مستعداً للتخلي عن كل شيء لأجلها: فينس، عائلته، كل ما حققه... احست بالضعف لمجرد التفكير بذلك.

شعرت بالدوار من الفرح وانارت وجهها بضحكتها المشعة. قالت بسعادة: «اه، ليسنزو. لقد برهنت لي عن حبك، سنكون معاً، نحن، عائلتنا... اطفالنا.»

بالكاد سمعت صراخ الناس لأن ليسنزو ضمها اليه بقوة وبدأ يقول لها كلمات الحب، ويشدها اليه وكأنه لن يتركها ابداً.

«احبك، حبيبتي، غاليتي. لن يكون هناك اسرار بيننا. سنبدأ منذ الان قصة حياتنا الرائعة.»

همست: «سعادة متناهية حتى آخر العمر.» حدقت بعينيه بسعادة.

تت